عمادة الدراسات العليا

جامعة القدس

الكاريكاتير السياسي والرأي العام

"دراسة حالة عن كاريكاتير الثورة المصرية 2011 بين صحيفة الغد الأردنية ونيويورك تايمز الأمريكية"

إعداد:

منى رفيق علي سليم

رسالة ماجستير

القدس/ فلسطين

1434 هـ / 2012 م

الكاريكاتير السياسي والرأي العام

"دراسة حالة عن كاريكاتير الثورة المصرية 2011 بين صحيفة الغد الأردنية ونيويورك تايمز الأمريكية"

إعداد:

منى رفيق علي سليم

بكالوريوس محاسبة العلوم الإدارية والاقتصادية جامعة القدس المفتوحة

المشرف: **أ.د محمد الدّجاني الداوودي**

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في تخصص الدراسات الأمريكية من معهد الدراسات الإقليمية/ جامعة القدس

1434 هـ/ 2012 م

جامعة القدس

عمادة الدراسات العليا

برنامج الدراسات الأمريكية/ دائرة الدراسات الإقليمية

إجازة الرسالة

الكاريكاتير السياسي والرأي العام

"دراسة حالة عن كاريكاتير الثورة المصرية 2011 بين صحيفة الغد الأردنية ونيويورك تايمز الأمريكية"

الطالبة: منى رفيق علي سليم

الرقم الجامعي: 20912372

المشرف: أ.د محمد الدّجاني الداوودي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: 2012/11/17م من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. رئيس لجنة المناقشة: ..... التوقيع: .....
2. ممتحناً داخلياً: ..... التوقيع: .....
3. ممتحناً خارجياً: ..... التوقيع: .....

القدس- فلسطين

1434 هـ/ 2012م

الإهـداء

إلى من ربياني صغيراً

إلى كل من علمني وأخذ بيدي وأنار لي طريق العلم والمعرفة

إلى كل من شجعني في رحلتي إلى التميز والنجاح

إلى كل من ساندني ووقف بجانبي

إلى كل من قال لي: لا، فكان سبباً في تحفيزي

إلى كل من كان النجاح طريقه، والتفوق هدفه والتميز سبيله

إلى زوجي العزيز

إليكم جميعاً أهدي عملي المتواضع

الطالبة:

منى رفيق علي سليم

إقرار

أقر أنا معد الرسالة بأنها قدمت لجامعة القدس، لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تم الإشارة له حيثما ورد، وأن هذه الدراسة، أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل درجة عليا لأي جامعة أو معهد آخر.

التوقيع: .....

منى رفيق علي سليم

التاريخ: .....

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان من كل الأساتذة الأفاضل الذين ساهموا في دعم مسيرتي التعليمية في جامعة القدس عامة وأساتذة برنامج الدراسات الأمريكية خاصة، وأخص بالذكر منهم الأستاذ الدكتور الفاضل **محمد الدّجاني الداوودي** الذي كان عوناً لي في إتمام هذا العمل ومرجعاً لا ينضب من مراجع العلم لما قدمه لي ولزملائي من توجيهات وإرشادات كان لها وزنها في إتمام عملي وإخراجه بالصورة المرجوة.

الملخّص

تتناول الدراسة أثر استخدام الكاريكاتير على الرأي العام، وذلك في الفترة الزمنية الممتدة من شهر كانون الثاني 2011 إلى شهر آذار من نفس السنة، حيث تم عرض رسوم كاريكاتيرية للرسام في صحيفة الغد الأردنية عماد حجاج، والرسام Jeff Danziger من صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية، وتناولت هذه الرسوم بشكل خاص أحداث الثورة المصرية منذ بدايتها إلى لحظة تنحي الرئيس المصري حسني مبارك عن الحكم.

وهدفت الرسالة إلى التعرف على ظاهرة الكاريكاتير، من حيث المفهوم والخصائص، والقضايا التي يمكن أن تناقشها أو تسلط الضوء عليها. بالإضافة إلى دراسة الكاريكاتير في كل من العالم العربي والولايات المتحدة، والتعرف على نطاق أو مدى حرية التعبير في كل من العالم العربي والولايات المتحدة الأمريكية في استخدام الكاريكاتير السياسي.

وقد أصبح هناك حاجة ملحّة لدراسة تلك العلاقة التي تربط بين الكاريكاتير والرأي العام خصوصاً مع قلة العناوين التي تناولت هذا الموضوع في عالمنا العربي، ولعل هذا الفن في الولايات المتحدة كما هو في العالم العربي يعتبر الأقل حظاً من الدراسة، فالأدبيات نادراً ما تتطرّق له وبالأخص في المجال السياسي.

قدمت الباحثة في نهاية دراستها أبرز ما توصلت إليه من استنتاجات وتوصيات تسهم في حل مشكلة الدراسة التي أكدت على أن هناك تأثير قوي يمارسه الكاريكاتير على الرأي العام، نظراً لامتلاكه كل الأدوات التي تجعله وبامتياز أحد أهم وسائل التعبير، وأحد أهم عناصر الصحافة المعاصرة. ذلك التأثير هو ما حدا بالأنظمة القمعية العربية أن تضع على رسام الكاريكاتير قيود وحدود منع على مدى عقود من أن يتخطاها لمساسها بالسلطة الحاكمة (أو بالحاكم بمعناه الضيّق)، لكن على الرغم من هذه القيود فهناك بصيص أمل، ويعود ذلك للتغيُّر في معطيات اللعبة بين الرسام ومقص الرقيب، فهناك انتشار واسع لشبكة الانترنت في كافة الدول العربية والذي أتاح للرسام العربي نشر إبداعه دون الخوف من إرهاب السلطة في ذاك البلد أو ذاك.

وأخيراً فإن الباحثة توصي بجملة من الإجراءات والتوصيات على أمل الأخذ بها ومحاولة تطبيقها. حيث توصي باهتمام أكبر بفن الكاريكاتير من قبل الجامعات الفلسطينية، فالمصادر تكاد لا تذكر عن هذا الفن. كما تدعو الباحثة إلى قيام كليات الصحافة والإعلام في الجامعات الفلسطينية والعربية بالتركيز على تدريس الكاريكاتير كجزء من الصحافة، وتبيان أهميته وقوة تأثيره على توجيه الرأي العام، بالإضافة إلى تشجيع الطلاب في هذه الكليات على عمل أبحاث متخصصة في هذا الشأن لإثراء المكتبة العربية بهذا الفن.

Political Cartoons and public opinion "A case study of Egyptian Revolution's cartoons 2011 Between Al-Ghad Jordanian newspaper & The New York Times"

Prepared by:

Mona Rafiq Ali Salim

Supervision:
Dr. Mohammed Dajani Daoudi

Abstract

The study discusses the effect of the comics on the public opinion between January 2011 and March 2011; in this period some comics have been displayed in the Jordanian newspaper "Al Ghad" by the cartoonist Emad Hajjaj and the American Newspaper "New York Times" by Jeff Danziger. Those comics discussed in particular the Egyptian Revolutionary events since Hosni Mubarak "The previous prime minister" has left the rule in Egypt.

The purpose of the study was to recognize the concept and characteristics of the phenomenon of comics, and the issues that this phenomenon can discuss or spotlight it. Also there are other purposes such like the study of the comics in the Arabic World and The United States, and to recognize the range of freedom of expression in the use of political comics.

It has become an urgent need to study the relationship between caricature and public opinion, especially with the lack of titles that dealt with this topic in the Arab world, and as we see the research is rarely mention it, especially in the political part.

At the end of the study, the researcher has provided all her conclusions and recommendations that contributes in solving the problem that the study emphasized on, that there is a lack of freedom for the Arabic cartoonist comparing to the American cartoonist. It also emphasized on the idea that comics have a great effect on the public opinion, especially when it comes to politics.

الفصل الأول

مشكلة الدراسة وخلفيتها

1. المقدمة

يعتبر حق التعبير من أثمن الحقوق التي يمكن أن يحصل عليها الأفراد في أي مجتمعٍ، فنحن نعيش اليوم فجر الحريات والثورات وقلب النظم في دول عربية عدّة، وجاءت هذه الثورات بمساعدة التطور الحاصل في التقنية واستخداماتها من خلال ما بات يعرف بمواقع التواصل الاجتماعي على الشبكة العنكبوتية، وكما أحدثت مثل هذه المواقع تغييرات، مهّد لها في القرنين الماضيين ما يسمى بـ "فن الكاريكاتير".

أحدث فن الكاريكاتير تغيرات نتيجة الأفكار التي كان وما زال يعبر عنها، فهو يقدم ما يحتاج إليه المواطن من وعي بأهمية الحدث وفعاليته والتنبّه إلى الخلل في حياتنا العامة ..... اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وللكاريكاتير الجيد القدرة على حشد الرأي العام حول القضايا التي تلمس مشاعر الناس وتمس حياتهم اليومية، فوظيفته إبراز العيوب الموجودة في المجتمع ومحاولة إيجاد طريقة لإصلاحها. فالعالم بشقّية، الشرقي والغربي، المتحضّر والنامي، يستخدم أفراده الكاريكاتير للتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم، لما له من قدرة في التأثير على العامة بأسلوب فريد ساخر وتعليقات لاذعة.

ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لبحث ظاهرة الكاريكاتير المنتشرة في العالم ككل ودورها في تشكيل و بلورة الرأي العام حول قضايا محددة، والبحث في مدى تأثير الكاريكاتير على الرأي العام وتوجهاته.

2. أهداف الدراسة

بما أن الكاريكاتير هو فن من فنون التعبير عن الرأي، فإن الدراسة تهدف لتحقيق ما يلي:

1- التعرف على ظاهرة الكاريكاتير بشكل عام، من حيث المفهوم والخصائص، والقضايا التي يمكن أن تناقشها أو تسلط الضوء عليها.
2- دراسة الكاريكاتير في كل من العالم العربي والولايات المتحدة، وتوفير أوجه للمقارنة بين بيئتين مختلفتين.
3- التعرف على نطاق أو مدى حرية التعبير في كل من العالم العربي والولايات المتحدة الأمريكية في استخدام الكاريكاتير السياسي.

3. أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في الموضوع الذي تتناوله، فالمكتبة العربية تكاد تخلو من معالجة وطرح الكاريكاتير، من حيث مفهومه تطوّره وحتى تاريخه خصوصاً في العالم العربي. فهذه الدراسة تعد من حيث تركيزها على نقاط محددة في فن الكاريكاتير في فترة زمنية معينة، هي الأولى في هذا المجال، لذا تكمن أهميتها في أنها ستشكل البداية للدارسين والباحثين للتعمق في هذا الفن ومحاولة لفهم ما يسعى لإيصاله من رسائل ومعاني تمس حياة كل مواطن مهما كان مستواه الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي.

4. مبرر الدراسة

يبدع رسامو الكاريكاتير رسوماً تحاكي كافة مجالات الحياة، ويستخدمونها كوسيلة لشدّ الانتباه حول قضايا تهم وتشغل الرأي العام، وبسبب قدرتها على جذب الاهتمام وسهولة فهمها وتأثيرها الكبير على القرّاء؛ أصبح هناك حاجة ملحّة لدراسة تلك العلاقة التي تربط بين الكاريكاتير والرأي العام خصوصاً مع قلة العناوين التي تناولت هذا الموضوع في عالمنا العربي، ولعل هذا الفن في الولايات المتحدة كما هو في العالم العربي يعتبر الأقل حظاً من الدراسة، فالأدبيات نادراً ما تتطرّق له وبالأخص في المجال السياسي.

5. مشكلة الدراسة

يُستغل الكاريكاتير لنشر أفكار وأيديولوجيات معينة أو لمعالجة قضايا مجتمعية، ويختلف استخدام الكاريكاتير من مجتمع لآخر، فلكل أمة عادات وثقافات وتقاليد وطرق تفكير مختلفة. فطرق استخدام الكاريكاتير يختلف مثلاً في العالم العربي عنه في الولايات المتحدة الأمريكية، فالكاريكاتير السياسي في العالم العربي على سبيل المثال يأخذ المنحى النقدي، أي نقد للنظم الحاكمة وللفساد ولغياب الديمقراطية ولكن بطرق يحاول فيها الفنان تجنب غضب الفئة المسيطرة على الحكم خوفاً من القتل أو السجن أو التعذيب. أما الكاريكاتير في الولايات المتحدة فهو ذا طابع فكاهي سياسي. ولذا تتلخّص مشكلة الدراسة في بيان "مدى حرية التعبير في استخدام الكاريكاتير في العالم العربي مقارنة مع الولايات المتحدة الأمريكية والكيفية التي يؤثر فيها على الرأي العام".

6. أسئلة الدراسة

تطرح الدارسة الأسئلة التالية في محاولة إيجاد إجابة لها:

1- ما مدى حرية المبدع في استخدام الكاريكاتير للتعبير عن آرائه في العالم العربي والولايات المتحدة الأمريكية؟

2- إلى أي مدى تسمح أنظمة الدول العربية للرسام العربي بانتقادها من خلال رسومات الكاريكاتير، وفي المقابل إلى أي مدى يستطيع الرسام العربي استخدام الكاريكاتير للتعبير عن آرائه وأفكاره السياسية المعارضة للنظام السياسي القائم؟ أو لانتقاد السلبيات في المجتمع؟

3- ما هو دور فن الكاريكاتير في صياغة الرأي العام؟ وكيف يستطيع التأثير على المجتمع؟

7. فرضيات الدراسة

يعرف كل من "ربحي عليان وعثمان غنيم" الفرضية في كتابهما "مناهج وأساليب البحث العلمي" بأنها عبارة عن تخمين ذكي وتفسير محتمل يتم بواسطته ربط الأسباب بالمسببات كتفسير مؤقت للمشكلة أو الظاهرة المدروسة، لذا فهي تكهّن يضعه الباحث كحل ممكن ومحتمل لمشكلة الدراسة [1].

وهناك أنواع متعددة للفرضيات، أذكر منها الأنواع التي استخدمتها الدارسة في البحث، وهي على التوالي، "الفرضية السببية": وهي تتحدث عن العلاقة بين متغيرين، بحيث أن التغير في أحد المتغيرات يتسبب أو يعود إلى التغير في المتغير الثاني. والنوع الثاني من الفرضيات التي تم استخدامها في البحث هي "الفرضية الموجهة أو التوجيهية": وهي تشير إلى اتجاه النتيجة [2].

وتهدف الفرضيات إلى الإجابة على الأسئلة البحثية، وبناءً على ذلك فإن الدراسة تبحث في فرضيتين رئيستين هما: "أنه كلما ابتعد النظام العربي عن الديمقراطية قلت المساحة التي يستخدمها رسام الكاريكاتير للتعبير عن أفكاره"، والثانية تبحث في أن: "هناك دور فعّال للكاريكاتير في التأثير على الرأي العام".

[1] ربحي عليان، عثمان غنيم. **مناهج وأساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق**. (عمان: دار صفاء، 2000)، ص 69.
[2] منذر الضامن. **أساسيات البحث العلمي**. (عمان: دار المسيرة، 2007)، ص 72-73.

8. حدود الدراسة

يدرس هذا البحث أثر استخدام الكاريكاتير على الرأي العام من خلال إجراء دراسة حالة لكاريكاتير صحيفة الغد الأردنية وصحيفة نيويورك تايمز الأمريكية لأحداث الثورة المصرية 2011م، وتشمل هذه الدراسة ما نشر في كلتا الصحفيتين من كاريكاتير عن الثورة المصرية في الفترة من 1 كانون الثاني 2011م إلى 31 من آذار من نفس العام.

9. منهجية الدراسة

يعبر مصطلح "منهج البحث" عن مجموعة الإرشادات والوسائل والتقنيات التي تساعد الباحث في دراسته. ويعرف الدكتور "محمد طه بدوي" المنهج على أنه: مجموعة من الإجراءات الذهنية التي يقوم بها الباحث، كما يعرفه الدكتور "حامد ربيع" بأنه أحد العناصر الأساسية للمعرفة العلمية، وهو أيضاً طريقة للاقتراب من الظاهرة.

وهناك تصنيفات عديدة لأساليب ومناهج البحث العلمي، حتى أن معظم الباحثين في هذا المجال، من أمثال ماركيز وويتني وجود وسكاتس، قد اشتملت دراساتهم وأبحاثهم على نفس الأنواع من أساليب البحث العلمي ولكنها صنفت بأساليب وطرق مختلفة [3].

من خلال الإطلاع على أدبيات الدراسة ومن منطلق الموضوع مجال البحث سوف تقوم الدارسة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي وبالأخص منهج دراسة الحالة، إذ تعد البحوث الوصفية التحليلية أكثر طرق البحث شيوعاً وملائمة في دراسة الظواهر الاجتماعية، حيث يصعب إخضاع مثل هذه الظواهر للتجريب والاختبار. كما يعتمد هذا المنهج على إعطاء وصف وتحليل دقيق وموضوعي للظاهرة محل الدراسة، مرتكزاً بذلك على البيانات والمعلومات التي يتم جمعها وتصنيفها بأسلوب علمي

[3] ربحي عليان، عثمان غنيم. **مرجع سابق**. ص 33-36.

منظم. كما ستعتمد الدارسة المنهج التاريخي، فهو مهم من ناحية إعطاء لمحة عن فن الكاريكاتير، مروراً بمراحل تطوره عبر التاريخ.

10. فصول الدراسة:

لقد قامت الباحثة بتقسيم الدراسة إلى خمسة فصول، وستقوم بعرض ملخص لكل فصل على حدا، كالتالي:

الفصل الأول

يتناول هذا الفصل هيكلية البحث، بما في ذلك مقدمة بسيطة عن الموضوع محل الدراسة، ومشكلة الدراسة، وأهميتها، وأسئلتها، وأهدافها، وفرضياتها، وحدودها الزمنية والمكانية، بالإضافة إلى إجراءاتها وأدواتها.

الفصل الثاني

يتضمن هذا الفصل الإطار النظري ،الدراسات السابقة، والنظريات التي تناولت ظاهرة الرأي العام، ويستعرض ملخص لأهم الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة.

الفصل الثالث

يحتوي هذا الفصل على الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة، بحيث يتضمن توضيح لمفهوم ظاهرة الكاريكاتير وتتبع تاريخها عربياً، وعلى مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، وعرض لأهم

تعريفات الرأي العام والعوامل المؤثرة فيه، كما يشمل الفصل على تعريف ومقدمة صغيرة عن الرأي العام في كل من العالم العربي والولايات المتحدة الأمريكية.

الفصل الرابع

يتناول هذا الفصل علاقة الكاريكاتير بالرأي العام، من خلال دراسة مدى تأثيره عليه بالأخص في القضايا السياسية، وسيتم الحديث عن مدى حرية رسام الكاريكاتير في التطرق لهذه القضايا، وإن كان هناك رقابة من أي نوع تفرض على رسامي الكاريكاتير، ومن يمارسها.

الفصل الخامس

يتضمن هذا الفصل تعريف بالثورة المصرية، أسبابها ونتائجها، كما يحتوي على مجموعة من الرسوم الكاريكاتيرية المتعلقة بالثورة والمنشورة في صحيفتي الغد الأردنية ونيويورك تايمز الأمريكية، وتركز على رسوم فنان بعينه من كل صحيفة، ففيما يتعلق بصحيفة الغد الأردنية تم عرض رسوم للفنان الفلسطيني – الأردني الجنسية عماد حجاج، أما فيا يخص صحيفة النيويورك تايمز فتم عرض رسوم للفنان Jeff Danziger. ويتناول الفصل هذه الرسوم بشيء من التفصيل.

النتائج والتوصيات

ستقوم الدارسة بعرض أهم النتائج التي يتم التوصل إليها، بالإضافة إلى تقديم أهم التوصيات التي تراها الباحثة في ضوء تحليل ودراسة المواضيع محل البحث.

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

المبحث الأول: نظريات الدراسة

نظريات الرأي العام

أولاً: الأنماط النظرية لعلاقة الرأي العام بالسلطة السياسية: يحدد حامد قويسي في كتابه "دراسات في الرأي العام: مقاربة سياسية 2003"، ثلاثة أنماط لعلاقة الرأي العام بالسلطة السياسية هي:

- **نمط الخضوع والاستكانة إلى درجة السكون والجمود:** ويتلخص هذا النمط في طرفين، الأول: سلطة سياسية شمولية، والثاني: نمط حضاري تعبير عن الحضارة غير السياسية، وفي هذا الصدد تقدم دراسات الاستبداد الشرقي، أمثله تحليلية لأوضاع الأغلبية المقموعة، والأقلية المصنوعة، وللرأي العام الذي يبدو خاضعاً وساكناً وجامداً.
- **نمط الرفض والعصيان السياسي الذي يصل إلى درجة الخروج والثورة:** ويتمثل هذا النمط في وجود سلطة سياسية حاكمة فقدت شرعيتها ومبررات وجودها الواقعي، أياً كانت درجة استقلاليتها الكلية أو النسبية عن المجتمع السياسي الذي تحكمه واقعياً. وهناك الكثير من النماذج لهذا النمط

في أشكال مختلفة من السلطة والأنظمة السياسية، التي يرفض الرأي العام وجودها ويرفع راية العصيان والخروج في وجه ممارستها.

- **نمط الترقب والتحفز والانتظار:** يتلخص هذا النمط الوسط بين السابقين – من ناحية – في أن الرأي العام لا يخضع من ناحية، ومن ناحية أخرى لا يقاوم أو يثور من تلقاء نفسه؛ ولذلك يثور جدل حول تحديد طبيعته، ولكن الرأي العام هنا يترقب وينتظر، ويتحفز ليرى من ينطلق بداية فينطلق معه في حركة هادرة، ولكنها لا تستمر طويلاً [4].

ثانياً: نظريات الاتصال

يعد الاتصال أحد السمات الإنسانية البارزة، سواءٌ أكان ذلك في شكل كلمات أم صور أم موسيقى، مفيد أم ضار، مقصود أم عشوائي. فخلال السنوات الأولى من القرن العشرين، كانت وسائل الاتصال الجماهيرية في مرحلة طفولتها، وكانت الجماهير متخوفة من تلك الأشكال الجديدة للاتصال، مثل الصحف والمجلات والسينما، التي بدأت تنتشر حولهم.

ومع بدايات القرن العشرين، بدأت النظم الاجتماعية في بعض المجتمعات الصناعية تتحول من النمط التقليدي المستقر الذي يرتبط فيه الأفراد بروابط مستقرة وثابتة، إلى مجتمع يتميز بقدر أكبر من التعقيد والعزلة الاجتماعية. وكان من الواضح لمعظم دارسي النظم الاجتماعية أن المجتمعات الغربية المتقدمة تشهد زيادة واضحة في درجة التمايز والفردية، وانخفاضاً في درجة سيطرة المجتمع على أفراده من خلال الوسائل غير الرسمية، واتجاه متزايد نحو العلاقات الجزئية والاجتماعية التعاقدية، وكانت هذه التحولات الاجتماعية هي بداية ظهور المجتمع الجماهيري، وهو المجتمع الذي يزداد فيه اعتماد الأفراد على وسائل الاتصال الجماهيرية بدلاً من الاعتماد على الروابط الاجتماعية التقليدية [5].

ويبدو أن مهام الاتصال التي كانت في المجتمعات القديمة هي نفسها الموجودة في المجتمعات الحديثة، لكن يكمن الاختلاف الأساسي بينهما في أن الوسائل الحديثة أكثر تطوراً، وأصبحت تساهم بدور فعال في التأثير في حياة الناس عبر وسائل الإعلام. ومعنى هذا أن الوظائف

[4] حامد عبد الماجد قويسى. **دراسات في الرأي العام: مقاربة سياسية**. (القاهرة: مطبوعات جامعة القاهرة، 2003)، ص 34-35.
[5] حسن مكاوي، ليلي السيد. **الاتصال ونظرياته المعاصرة**. (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1998)، ص 15-16.

القديمة اختلفت فقط في درجتها وليست في نوعيتها. فوسائل الإعلام التي كانت في وقت ما ذات تأثير محدود، تستطيع الآن أن تصل إلى كل سكان العالم تقريباً. وتؤثر في آراء الناس وتصرفاتهم وأسلوب حياتهم. فالكتاب الذي كان يقرؤه في الماضي عدد محدود من الأفراد، أصبح يقرؤه ملايين من البشر. وينطبق الشيء ذاته على الوسائل الأخرى [6].

وبما أن الكاريكاتير هو جزء من الصحافة، وبما أن الأخيرة هي وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري، فسوف أقوم بعرض ثلاث نظريات تفترض قوة تأثير الرسالة الإعلامية على جمهور المتلقين، وهي ما يعرف بنظريات التأثير القوي.

✍ نظرية "دانيال ليرنر" حول اجتياز المجتمع التقليدي

قدم هذه النظرية عالم الاجتماع الأمريكي "دانيال ليرنر" **Danial Lerner** في دراسته لدور وسائل الإعلام في التنمية القومية لاجتياز المجتمع التقليدي، وتقدم هذه النظرية تأثيرات محددة لدور وسائل الإعلام في الإقناع للتأثير على الأفكار، والاتجاهات، والقيم، وكانت النظرية في مجملها حصيلة أبحاث أجريت على ست دول في الشرق الأوسط هي: إيران، مصر، تركيا، سوريا، لبنان، والأردن في مطلع الخمسينيات من القرن العشرين.

والنموذج كما يقدمه "دانيال ليرنر" يعتبر أن النسق الغربي في التحديث هو غربي من ناحية تاريخية فقط، ولكنه عالمي اجتماعياً، وهو يرى أن القواعد الأساسية للنموذج الغربي تظهر ثانية في جميع المجتمعات التي هي في طور التحديث في جميع القارات بغض النظر عن العرق واللون والعقيدة، ولذا فإنه يعتبر أن امتداد النموذج الغربي في التحديث أساسي في التنمية للمجتمعات غير الغربية [7].

[6] طه عبد العاطي نجم. **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**. (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005)، ص 26.
[7] صالح أبو إصبع. **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة**. (عمان: دار آرام للدراسات والنشر، 1995)، ص 87.

ويرى "ليرنر" أن التحضر هو اتجاه عقلاني من نمط الحياة التقليدية إلى نمط حياة جديد تزداد فيه مساهمة الأفراد، وأن المجتمع التقليدي لا يأتي ولكنه يزول، فالمدينة تتسع لتشمل القرى المجاورة، وتتعلم نسبة أكبر من الأفراد القراءة وتكوين الآراء، ويزداد الإقبال على التعرض لوسائل الإعلام، وتزداد القدرة على التقمص الوجداني (أي تصور الفرد لنفسه في مواقف وظروف الآخرين)، ثم يتسع نطاق المساهمة السياسية والاقتصادية.

ويرى "ليرنر" أن عملية التحضر عملية عالمية، ويشرح مراحل التحديث الأربع على النحو التالي:

1. الانتقال من الريف إلى المدن يأتي في المرحلة الأولى، لأن المدن وحدها طورت المهارات والإمكانيات التي تميز الاقتصاد الصناعي الحديث.
2. حينما تصل نسبة الذين يعيشون في المدن إلى 10% من السكان، تزداد نسبة المتعلمين بشكل ملموس، وترتفع نسبة المقيمين في المدن ونسبة المتعلمين سوياً حتى تصل إلى 25%، وبعد ذلك تستمر نسبة التعليم في الارتفاع مستقلة عن نسبة المقيمين في المدن. وإذا قلّت نسبة المتعلمين عن 15% يعتمد المجتمع أساساً على الاتصال الشخصي، ولكن حينما تزيد نسبة المتعلمين عن 25% تصبح أداة الاتصال الأساسية هي وسائل الاتصال الجماهيرية، والمرحلة التي تتراوح فيها نسبة المتعلمين ما بين 15%–25% هي مرحلة الانتقال.
3. حين يتقدم المجتمع تكنولوجياً ويتطور صناعياً، يستطيع أن يصدر صحفاً على نطاق واسع، وينشئ شبكات إذاعية، ودور عرض سينمائية، ويساعد هذا بالتالي على نشر التعليم.
4. حين يتطور المجتمع اقتصادياً، وتزداد المساهمة السياسية للأفراد والتي نلاحظها في جميع المجتمعات المتطورة، ويرى "ليرنر" أن الناخبين هم الذين يساهمون في الحياة العامة لمجتمعاتهم بأن يكون لهم آراء في كثير من الشؤون العامة، في حين يكون من خصائص المجتمع التقليدي انعزال أفراده وعدم اهتمامهم إلا بالأمور التي تتصل بشكل وثيق بحياتهم الخاصة.

وقد وجد "ليرنر" أن نسبة الارتباط بين العناصر الأربعة في نموذجه مرتفعة وكان ذلك مقدمة لنظريته عن التقمص الوجداني. وتعتمد نظريته لاجتياز المجتمع التقليدي على ثلاثة عناصر رئيسية هي: التقمص الوجداني، استخدام وسائل الإعلام لتحريك الناس، ونظام التحديث [8].

✍ نظرية "مارشال مكلوهان" حول وسائل الاتصال كامتداد للحواس

قدم هذه النظرية "مارشال مكلوهان" **Marshal Mcluhan** في الستينيات، وهي عبارة عن تصورات نظرية لتطور وسائل الاتصال وتأثيراتها على المجتمعات الحديثة، وتعتمد هذه النظرية على ثلاثة افتراضات أساسية، وهي كالتالي:

أولاً: وسائل الاتصال هي امتداد لحواس الإنسان

يرى "مكلوهان" أن الناس يتكيفون مع ظروف البيئة في كل عصر من خلال استخدام حواس معينة ذات صلة وثيقة بنوع الوسيلة الاتصالية المستخدمة. فطريقة عرض وسائل الإعلام للموضوعات وطبيعة الجمهور الذي تتوجه إليه، تؤثران على مضمون تلك الوسائل. فطبيعة وسائل الاتصال التي تسود في فترة من الفترات هي التي تكوّن المجتمعات أكثر مما يكوّنها مضمون الرسائل الاتصالية، ويعتقد "مكلوهان" فيما يسميه "الحتمية التكنولوجية"، أي أن المخترعات التكنولوجية المهمة هي التي تؤثر على تكوين المجتمعات. ويرى "مكلوهان" أن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ لدى الشعوب، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي، وإنما في الحواس الإنسانية أيضاً. وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الإعلام، لن نستطيع فهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات، فأي وسيلة جديدة هي امتداد للإنسان، تؤثر على طريقة تفكيره وسلوكه [9].

---

[8] جيهان أحمد رشتي. **نظم الاتصال: الإعلام في الدول النامية**. (القاهرة: دار الفكر العربي، 1972)، ص 34-37.

[9] M. Mcluhan, & Q. Fiore. **The Medium is the Message: An Inventory of Effects**. (NY: Bantam Books, 1967), P 26-40.

ويقسم "مكلوهان" تطور الاتصال إلى أربع مراحل هي: المرحلة الشفوية، مرحلة الكتابة، مرحلة الطباعة، مرحلة الوسائل الإلكترونية. ويرى أن وسائل الاتصال الإلكترونية غيرت في توزيع الإدراك الحسي، أو كما يسميها "مكلوهان" نسب استخدام الحواس، فامتداد أي حاسة يعدل من طريقة تفكيرنا وتصرفاتنا وإدراكنا للعالم من حولنا.

ومن الناحية السياسية، يرى "مكلوهان"، أن وسائل الإعلام الإلكترونية حولت العالم إلى قرية عالمية تتصل جميع أجزائها بعضها ببعض، وتحث تلك الوسائل على العودة للحياة القبلية [10].

ثانياً: الوسيلة هي الرسالة

بمعنى أن طبيعة كل وسيلة وليس مضمونها هو الأساس في تشكيل المجتمعات، ويرى أن الرسالة الأساسية في التلفاز هي التلفاز نفسه، كما أن الرسالة الأساسية في الكتاب هي المطبوع، فالمضمون غير مهم، وأن المهم هو الوسيلة التي تنقل المحتوى، ويشير إلى أن لكل وسيلة جمهوراً من الناس الذي يفوق حبهم لهذه الوسيلة اهتمامهم بمضمونها.

ويقترح "مكلوهان" أن بناء الوسيلة ذاتها مسئول عن نواحي القصور فيها، ومسئول عن مقدرتها في توصيل المضمون، فهناك مثلاً، وسيلة أفضل من وسيلة أخرى في إثارة تجربة معينة، فمثلاً، مطالعة أخبار الجرائم في الصحف أكثر إثارة عنها في التلفاز، ويبدو أن لكل وسيلة خصائص خاصة بها تجعلها الأفضل في إثارة موضوعات معينة [11].

ثالثاً: وسائل الاتصال الساخنة ووسائل الاتصال الباردة

[10] جيهان أحمد رشتي. **الأسس العلمية لنظريات الإعلام**. (القاهرة: دار الفكر العربي، 1978)، ص 379.
[11] **المرجع السابق**. ص 384-389.

ابتكر "مكلوهان" مصطلحات "الساخن" و"البارد" ليصف بناء وسيلة الاتصال، أو التجربة التي يتم نقلها، وكلمة "بارد" تستخدم في وقتنا الحاضر لتعني ما ألفنا على أن نطلق عليه كلمة "ساخن" في الماضي.

ويهتم مكلوهان بالقدرة على التخيل الذي يعتبر محور فكرته عن الساخن والبارد، فالوسيلة الساخنة هي الوسيلة التي لا تحافظ على استخدام التوازن في الحواس، أو الوسيلة التي تقدم المعنى "مصطنعاً" وجاهزاً مما يقلل احتياج الفرد للخيال. أما الوسيلة الباردة فهي التي تحافظ على التوازن وتثير خيال الفرد باستمرار [12].

✍ نظرية "إليزابيث نويل – نيومان" دوامة الصمت

تعد هذه النظرية واحدة من النظريات التي تؤكد على قوة وسائل الإعلام في تكوين الرأي العام، وهي تهتم بالإضافة إلى النظريتين السابقتين برصد آثار وسائل الإعلام على المجتمع. وقد طورت هذه النظرية الباحثة الألمانية "إليزابيث نيومان" عام 1974م.

وترى "نيومان" عملية تكوين الرأي العام باعتبارها عملية ديناميكية، تتداخل فيها عوامل نفسية واجتماعية وثقافية وسياسية، بالإضافة إلى دور وسائل الإعلام كدور محوري في تكوين الاتجاه السائد حول القضايا المثارة في المجتمع.

وكانت نيومان قد نادت بالعودة إلى قوة وسائل الإعلام، ورأت أن لوسائل الإعلام تأثيرات قوية على الرأي العام تم التقليل من شأنها في الماضي بسبب قيود منهجية في الدراسات الإعلامية، ولذلك طالبت بأهمية إجراء البحوث طويلة الأمد التي تتحرى عن ثلاثة متغيرات أساسية تساهم في تأثير وسائل الإعلام [13]، هي:

[12] W. Schramm. **Men, Messages, and Media: A Look at Human Communication**. (NY: Harper & Row, 1973), P 127.
[13] N. Neumann. **Communication Theories: Origins, Methods, and Uses**. (NY: Hastings House, 1979), P 257.

1. **التأثير التراكمي من خلال التكرار:** حيث تميل وسائل الإعلام إلى تقديم وسائل متشابهة ومتكررة حول موضوعات أو شخصيات أو قضايا، ويؤدي هذا العرض التراكمي إلى تأثيرات على المتلقين على المدى البعيد.
2. **الشمولية:** تسيطر وسائل الإعلام على الإنسان وتحاصره في كل مكان وتهيمن على بيئة المعلومات المتاحة، مما ينتج عنه تأثيرات شاملة على الفرد يصعب الهروب من رسائلها.
3. **التجانس:** ويعني أن بين القائمين بالاتصال اتفاقاً وانسجاماً مع المؤسسات التي ينتمون إليها مما يؤدي إلى تشابه توجهاتهم والقيم الإعلامية التي تحكمهم، ويؤدي ذلك إلى أن الرسائل التي تتناقلها وسائل الإعلام المختلفة تبدو متشابهة ومتسقة، مما يزيد من قوة تأثيرها على المتلقين.

وتؤدي هذه العوامل السابقة إلى تقليل فرصة المتلقي في أن يكون له رأياً مستقلاً حول القضايا المثارة، وبالتالي تزداد فرصة وسائل الإعلام في تكوين الأفكار والاتجاهات المؤثرة في الرأي العام [14].

ويلخص "إليهوكاتز" فكرة دوامة الصمت في العبارات التالية:

1. كل الأفراد لهم آراء.
2. الخوف من العزلة الاجتماعية يجعل الأفراد لا يعلنون عن آرائهم إذا ما أدركوا أن هذه الآراء لا تحظى بتأييد الآخرين.
3. يقوم كل فرد بعمل استطلاعات سريعة لمعرفة مدى التأييد أو المعارضة للرأي الذي يتبناه.
4. تعد وسائل الإعلام من المصادر الرئيسية لنشر المعلومات وعرض الآراء ونقل مناخ التأييد أو المعارضة.
5. تقوم الأطر المرجعية الأخرى بعملها.
6. تميل وسائل الإعلام لأن تتحدث بصوت واحد، غالباً ما يكون محتكراً.
7. تميل وسائل الإعلام إلى التحيز في عرض الآراء مما يؤدي إلى تشويه الرأي العام.
8. يدرك بعض الأفراد أو الجماعات أنهم مختلفين وغير مسايرين لرأي الأغلبية، مما يجعلهم إما يغيرون آراءهم لتتسق مع رأي وسائل الإعلام، أو يؤثرون الصمت تجنباً للضغوط الاجتماعية[15].

[14] E. Dennis. **The Media Society: Evidence about Mass Communication in America**. (Lowa WMC Brown Company, 1978), P 8-9.

وعلى الرغم من انتشار هذه النظرية في مجال الإعلام، وخاصة في التدريس الإعلامي في كثير من دول العالم، إلا أنه لم يكتب لها التطبيق الذي تستحقه هذه النظرية.. وكثير من بحوث ودراسات الإعلام في الدول النامية ركزت على نظريات أقل أهمية منها، وخاصة نظريات الاستخدامات والاشباعات، وهي من النظريات التي تعكس فقط واقع المشاهدة أو الاستماع أو القراءة لوسائل الإعلام، ولا تغير من هذا الواقع.. أما نظريات الرأي العام فهي عادة مرتبطة بحركة التغيير في المجتمع، ولهذا يقل الإقبال عليها، وتصبح من نظريات الرفوف وليست من نظريات الميدان، من نظريات الوضع القائم، وليست من نظريات التغيير الاجتماعي [16].

المبحث الثاني: الدراسات السابقة

لم تهتدي الباحثة إلى دراسة تتناول عنوان البحث، ولكن يوجد هناك بعض الدراسات والأبحاث التي تطرقت إلى مواضيع ذات صلة مباشرة، وسأقوم بعرض أهم هذه الدراسات كالتالي:

دراسة أندرياس قاسم بعنوان "الكاريكاتير السياسي العربي: حرب لبنان 2006"[17]، وتبحث هذه الدراسة لكسب فهم واضح أو أساسي حول الفكاهة السياسية العربية من خلال فحص رسوم الكاريكاتير السياسي العربي لحرب لبنان 2006، وتفترض أن الكاريكاتير السياسي هو شكل من أشكال الثقافة الشائعة للهجاء أو النقد. وتقترح الدراسة بأن النقد والفكاهة السياسية لها علاقة أعمق في المجتمعات المليئة بالنزاعات مقارنة بالمجتمعات التي لها تاريخ طويل في السلام، ويذهب الباحث للأبعد من ذلك، حيث يناقش ظروف الكاريكاتير السياسي في العالم العربي خصوصاً فيما يتعلق بالرقابة وحرية التعبير المحدودة. والتي تؤثر بشكل كبير على رسامي الكاريكاتير وبالتالي على الرسوم الكاريكاتورية. وتقترح الدراسة بأن وسائل الإعلام العربي قادت الكاريكاتير للقضايا الإقليمية والعالمية على حساب القضايا المحلية.

---

[15] محمد عبد الحميد. **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**. (القاهرة: عالم الكتب، 1997)، ص 293.

[16] علي القرني. **الرأي العام ونظريات الصمت في الدول النامية: دوامة الصمت والأغلبية الصامتة**. (موقع الجزيرة للصحافة والنشر، 2009/10/17).

[17] A. Qassim. **Arab Political Cartoons: The 2006 Lebanon War**. (Sweden: Lunds University, 2006).

وتحتوي الدراسة ثلاثة فصول، يتضمن الفصل الأول هيكلية البحث، أما الفصل الثاني فيتضمن خلفية نظرية وتاريخية عن الموضوع، بحيث تطرق الفصل إلى موضوع النقد عند العرب واتجه بعدها للحديث عن الفكاهة السياسية العربية، وبعدها تناول الكاريكاتير السياسي في العالم العربي بشيء من التفصيل وتحدث عن الرقابة، ثم انتقل للحديث بعدها عن الحرب على لبنان بتقديم ملخص سريع عنها. وفي الفصل الثالث قام الدارس بتحليل رسومات الكاريكاتير المتعلقة بالحرب على لبنان بالتفصيل.

وخلصت الدراسة إلى أن الكاريكاتير شكل فني غربي تم تبنيه من قبل العرب، وبأن الكاريكاتير السياسي إجمالاً تعلّق بالغرب أكثر من العالم العربي. ويشير إلى أن رسامو الكاريكاتير السياسي العرب يؤدون نفس الوظيفة التي كان يؤديها الفكه العربي في القرون الماضية، وأن بعض أوجه الفكاهة في النكات السياسية العربية تظهر بوضوح في الكاريكاتير، ويشير في ختام استنتاجه إلى أن هناك نوع من الوحدة السياسية في التوجه لدى جميع رسامي الكاريكاتير العرب. ويقول في النهاية أن رسامي الكاريكاتير السياسي العرب ليسوا أحرار في انتقاد من يشاؤون متى يشاؤون أثناء الحرب.

يتناول ماثيو دياموند في دراسته بعنوان "الكاريكاتير السياسي في الصحف العربية والإسلامية بعد أحداث 11 سبتمبر"[18] مجموعة من الرسوم الكاريكاتورية التي نشرت في جرائد الأهرام المصرية، عرب نيوز السعودية، الحياة اللندنية، إضافة إلى كاريكاتيرات أخرى نشرت في الصحافة اللبنانية، الأردنية، الفلسطينية، الإيرانية، الباكستانية. حيث تم اختيار الكاريكاتيرات التي تعبر عن وجهة نظرها بوضوح والتي لها دائرة انتشار واسعة.

أخذ ماثيو بأسلوب التحليل من وجهة نظر النص الذي يحتويه الكاريكاتير، وبناءً على هذا صنف ماثيو الكاريكاتيرات حسب موضوعها إلى مجموعات: كاريكاتيرات عن أسامة بن لادن ورد الفعل الداخلي الأمريكي، كاريكاتيرات عن دور الإعلام، كاريكاتيرات عن دور باكستان في الحرب على أفغانستان، وكاريكاتيرات عن إدارة الحرب في أفغانستان، وعن مطاردة أسامة بن لادن، وأخرى

[18] M. Diamond. **No Laughing Matter: Post-September 11 Political Cartoons in Arab/Muslim Newspapers**. (USA: Duke University, 2002).

عن مصير أفغانستان، وكاريكاتيرات عن الخطوة التالية للولايات المتحدة. فعلى سبيل المثال، في المجموعة الأولى أورد الباحث كاريكاتير نشر في الأهرام المصرية، يظهر فيه محيط مركز التجارة العالمي والدخان يتطاير من البرجين التوأم، وقد كُتب على البرج الأول "إف.بي.آي" والبرج الثاني "سي.آي.إي" بينما تمثال الحرير "الليدي ليبرتي" يغطي فمه بيد واحدة.

يستعرض علاء أبو ضهير في تقريره بعنوان "صورة حزب الله في رسوم الكرتون الأمريكية"[19] مجموعة من اللوحات الكاريكاتيرية، وهي دراسة سريعة لحالة من الحالات التي مر بها جزء هام من عالمنا العربي في عام 2006 وهي الحرب الإسرائيلية على لبنان. حيث يهدف التقرير إلى التعرف على التغطية الإعلامية الأمريكية لأحداث الحرب وذلك من خلال تحليل رسومات الكاريكاتير، وإلى التعرف على الأساليب التي تم استخدامها لتسويق قيام إسرائيل بتبرير قتل مئات المدنيين في حربها ضد لبنان، وكيف استطاعت هذه الرسومات تكريس صورة حزب الله كحزب إرهابي لا يمكن الحوار معه.

ويقتصر الباحث في تقريره هذا على ترجمة محتوى الرسومات بالإضافة إلى تحليلها والتعليق عليها بعض الأحيان. واقتصرت الفترة الزمنية لهذا التقرير على شهري تموز وآب من عام 2006، وخاصة الفترة الزمنية التي بدأت باختطاف الجنديين الإسرائيليين والتي انتهت بهدنة لم ينتج عنها إطلاق سراح الجنديين ولا إطلاق سراح المعتقلين اللبنانيين ولا الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية المحتلة.

كتاب لعلاء أبو ضهير بعنوان "صورة انتفاضة الأقصى في رسوم الكرتون الغربية"[20]، حيث يشير فيه الكاتب أن الهدف من وراء نشر هكذا كتاب هو إتاحة الفرصة أمام القارئ العربي للتعرف على وجهة نظر رسامي الكاريكاتير الغربيين عموماً والأمريكيين خصوصاً تجاه الأحداث الجارية على الأراضي الفلسطينية، وذلك من خلال رسوم كاريكاتير رسمت من وراء المحيطات بيد فنانين يعيشون بعيداً جداً عن الحدث، لكنهم يسقطون وجهة نظرهم على الأحداث بكل قوة وتأثير. ويتناول الكتاب

[19] علاء أبو ضهير. **صورة حزب الله في رسوم الكرتون الأمريكية**. (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2007).

[20] علاء أبو ضهير. **صورة انتفاضة الأقصى في رسوم الكرتون الغربية**. (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2007).

الرسوم المتعلقة بالانتفاضة الفلسطينية منذ الأيام الأوائل للانتفاضة عام 2000م وتنتهي في أواخر شهر تشرين الأول عام 2002م.

ويشدد الكاتب على عدم موضوعية رسامي الكاريكاتير الغربيين عموماً والأمريكيين خصوصاً في تغطيتهم لأحداث الشرق الأوسط، ويشير إلى الانحياز الأعمى لسياسات إسرائيل وتبرير تصرفاتها بشتى السبل، مع بعض الاستثناءات لدى بعض الفنانين الموضوعيين.

ويكتب في خاتمة الكتاب عن وجود فجوة واسعة في الإعلام الغربي والتي تؤثر في رسم الشعب الفلسطيني ونضاله من أجل الحرية والاستقلال، حيث تعتمد الصورة المنقولة على المراسلين الغربيين الذين يختلفون ثقافياً وسياسياً ولغوياً عن المجتمع الفلسطيني، ويقتربون ثقافياً وسياسياً ولغوياً من المجتمع الإسرائيلي، مما يؤثر سلباً على التغطية الإعلامية الموضوعية للأخبار الأمر الذي يعمق الجهل لدى أفراد المجتمع الغربي فيما يتعلق بنظرتهم إلى الفلسطينيين.

ويسرد الكاتب جملة من التوصيات في طيات كتابه، منها على سبيل المثال لا الحصر، السعي لإنشاء قناة فضائية عربية تبث باللغة الانجليزية على أن ترتقي هذه القناة لمستوى وعي المتلقي الغربي، وبذل المزيد من الجهد لإقامة علاقات إعلامية مع العاملين في الوسط الإعلامي الغربي وذلك لتعريفهم على حقيقة الأمور، ومن ضمن التوصيات أيضاً العمل على تفعيل العلاقة مع المنظمات والهيئات والمؤسسات غير الحكومية في الغرب، وذلك لإقامة جسور التعاون والتبادل الثقافي والفكري.

وأخيراً سأقوم بعرض ملخّص **لرسالة خالد الفقيه بعنوان "التنمية السياسية المترتبة على حركة الوعي في كاريكاتير الفنان ناجي العلي 2008**" [21]، لكن قبل عرضها سأتناول في سطور نبذة عن حياة الفنان الفلسطيني الراحل ناجي العلي.

[21] خالد الفقيه. **التنمية السياسية المترتبة على حركة الوعي في كاريكاتير الفنان ناجي العلي**. (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2008).

ولد الفنان ناجي سليم حسين العلي في قرية الشجرة بالجليل الأعلى قرب الناصرة في فلسطين عام 1936[22]، نزح مع عائلته عام 1948 إلى لبنان واستقرّ في مخيم عين الحلوة القريب من مدينة صيدا. بدأ في أوائل السبعينات بنشر رسوماته في جريدة المحرر اللبنانية، ثم في جريدة الوطن الكويتية، وفي عام 1974 عاد إلى لبنان ليعمل في صحيفة السفير.

بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982 عاد إلى الكويت ليعمل في صحيفة القبس. ثم انتقل في عام 1984 إلى لندن ليعمل في نفس الصحيفة [23].

قبل اغتياله عام 1987، خاض ناجي العلي معارك ضارية مع رموز منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها ياسر عرفات. فقد فتح نار رسمه على عرفات شخصياً في رسمته المشهورة التي تناول فيها الكاتبة المصرية رشيدة مهران والتي كانت تربطها علاقة وطيدة بياسر عرفات.

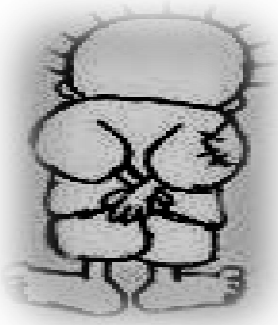

وظّف ناجي العلي الكثير من الأدوات والرموز في لوحاته، واستطاع على صعيد الرموز أن يبتكر رموزه الخاصة به وإن كان ذلك في مراحل لاحقة لانطلاقته. ميزته هذه الرموز عن الآخرين دون أن يقلد معاصريه وسابقيه من رسامي الكاريكاتير العرب والعالميين. وانفرد بخصوصية شخوصه، ومن أهم رموز لوحاته هو "**حنظلة**" [24].

فحنظلة كما يصفه مبتكره ناجي العلي: "وُلد حنظلة في العاشرة من عمره، وسيظل دائماً في العاشرة، ففي تلك السن غادرتُ الوطن، وحين يعودُ، حنظلة سيكون بعدُ في العاشرة، ثم يأخذ في الكِبَر بعد ذلك، قوانين الطبيعة المعروفة لا تنطبق عليه، إنه

[22] خلود تدمري، وعبده الأسدي. **دراسة في إبداع ناجي العلي**. (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1994)، ص 32.
[23] **رسومات ناجي العلي: الإنسان والثائر**. (رام الله: المؤسسة الفلسطينية للنشر والتوزيع، 2005)، ص 1.
[24] خالد الفقيه. **مرجع سابق**. ص 28- 33.

استثناء، وستصبح الأمور طبيعية حين يعود الوطن، فالطفل يمثّل موقفاً رمزياً ليس بالنسبة لي فقط بل بالنسبة لحالةٍ جماعية تعيش مثلي وأعيش مثلها"[25].

تناولت دراسة خالد الفقيه موضوعاً مهماً له تأثيراته وتفاعلاته المختلفة في المجتمع الفلسطيني والمجتمعات الأخرى، وتمثل هذا في الدور الذي اضطلعت به فنون الكاريكاتير الخاصة بالفنان ناجي العلي. ربطت الدراسة أثر كاريكاتيرات العلي بمفهوم التنمية السياسية بشكل أساس، عدا عن مفاهيم الديمقراطية والفقر والوحدة القومية.

انطلقت الدراسة من فرضيتين هما: أثرت رسومات الفنان ناجي العلي الكاريكاتيرية في مواقف الجماهير المتلقية لها وفي مواقف القيادات السياسية الفلسطينية والعربية باتجاه الإصرار على الحقوق الوطنية، أما الفرضية الثانية فكانت: نجح الفنان ناجي العلي في توصيف هموم المواطن العربي ورفع مستوى وعيه تجاه مشاكله، وبث روح التغيير على مختلف الصعد الاجتماعية والثقافية والسياسية على المستويين الفلسطيني والعربي.

وأفرد الباحث الفصل الأول لتناول حياة الفنان ناجي العلي الخاصة منذ ولادته وحتى اغتياله في لندن عام 1987 للتعرف على المحطات البارزة والهامة التي أثرت عليه وخلقت منه فناناً متميزاً بشكل خاص بنكهة فريدة. وجاء الفصل الثاني فاتحة للفصول اللاحقة للتعرف على دور الرموز والأدوات التي أوجدها ووظفها ناجي العلي في كاريكاتيره ليسهم من خلالها في بلورة الوعي السياسي والاجتماعي، ومن أهم هذه الرموز هو حنظلة.

تناول الفصل الثالث مواقف الفنان ناجي العلي وإسهاماته في خلق التوعية لدى الجمهور فيما يخص القضية الفلسطينية، لا سيما مسألة اللجوء والتمسك بحق العودة، ومحاولات ناجي لتحشيد رأي عام تجاه القرارات الدولية الخاصة بالقضية الفلسطينية التي تنتقص من حق الفلسطينيين بكامل أراضيهم. أما الفصل الرابع فقد تناول منظمة التحرير الفلسطينية وتوجهات قيادتها على الصعد

[25] فاروق وادي. **ناجي العلي: الهدية لم تصل بعد**. (عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1997)، ص 9-10.

السياسية والديمقراطية الداخلية، والشفافية المالية والإدارية في فن ناجي العلي، وكذلك محاولات التطبيع السياسي والثقافي من قبل الفلسطينيين مع إسرائيل.

ركّز الفصل الخامس من الرسالة على مواقف ناجي العلي من جملة قضايا عربية ودولية مرتبطة بالقضية الفلسطينية، ومنها دول الجوار العربي (الأردن، ولبنان، ومصر)، والتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها هذه البلدان وانعكاس ذلك على القضية الفلسطينية ومشروع الوحدة القومية الشاملة. وتناول الفصل السادس التخمة النفطية في الخليج العربي وعلاقتها بالقضية الفلسطينية، وكذلك حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران، حيث اعتبرها ناجي العلي حرفاً لمسار البوصلة الحقيقية عن مسارها الصحيح واستنزاف للطاقات العسكرية العربية. وتطرق الفصل السابع إلى الشأن العالمي في مواقف ناجي، كعداوته للولايات المتحدة بسبب دعمها اللامحدود لإسرائيل. وفي نهاية الدراسة قدم الباحث أبرز ما توصل إليه من استنتاجات وتوصيات تسهم في حل مشكلة الدراسة التي أكدت على الدور الطليعي والإسهام الجدي للفنان ناجي العلي في إرساء قواعد وعي شعبي تجاه مختلف القضايا لتكون نواة التنمية السياسية والتغيير.

إسهام البحث في مجال الدراسة

هذه الدراسة من حيث تركيزها على نقاط محددة في فن الكاريكاتير، هي الأولى في هذا المجال خصوصاً أنها تتناول حدث جديد في العالم العربي هو الثورات العربية، وبالأخص الثورة المصرية. لذا تكمن أهميتها في أنها ستشكل البداية للباحثين للتعمق في هذا الفن، ومحاولة لفهم ما يسعى لإيصاله من رسائل ومعاني تمس حياة كل مواطن.

الفصل الثالث

الإطار المفاهيمي والتاريخي للدراسة

المبحث الأول: الكاريكاتير... فن وتاريخ

تعريف الكاريكاتير

ليس من السهل أبداً إعطاء تفسير واضح وشامل لفن الكاريكاتير الحديث، ولا حتى تحديد وظيفته، أهي وظيفة فنية أم صحافية، وهذه هي أهم إشكاليات تفسير الكاريكاتير، وهي أنه عبارة عن فن هجين، ما بين الفن التشكيلي ومهنة الصحافة، فكل منهما يتبناه ويعتبره جزءاً منه[26]. وتنحدر كلمة كاريكاتير caricature في الأصل من كلمة ايطالية هي caricare التي تعني المبالغة أو تحميل الشيء أكثر من طاقته، ثم أدخل الرسام البريطاني "وليم هوجارت" (1697–1764) هذه الكلمة إلى اللغة الانجليزية ليصف بها رسومه الساخرة[27].

وهو أيضاً أحد أشكال الإبداع الفني ضاربة العمق في جذور التاريخ، وتعود بداياته إلى عصور غابرة، ولكنه تطور بتطور البشرية وأخذ أشكالاً ومواضيع عدة وأدوات مختلفة، فهو "فن من الفنون التعبيرية الذي لا يجد الناس صعوبة في فهمه وتقديره، ويعني الابتعاد عن التناغم الهندسي

[26] رمزي الطويل. **تاريخ الكاريكاتير الفلسطيني: دراسات إعلامية2**. (رام الله: مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2005)، ص 19.
[27] عمار علي حسن. **دور فن الكاريكاتير العربي في المقاومة المدنية والمسلّحة**. (مجلة شؤون عربية، عدد 136. شتاء 2008)، ص 139.

المنتظم للشكل، أو يعني عدم الاهتمام بالنسب الطبيعية، ويعني أيضاً المبالغة والتشويه في الشكل" [28].

ويقوم الكاريكاتير على القدرة في رؤية الجانب المضحك من الأشياء، والوعي بأمور الحياة، فالكاريكاتير هو فكر ومعرفة، ويصبح معرفة من خلال المفاهيم [29]. وهو طراز من الرسم التهكمي الذي يعتمد على المبالغة في سبيل الإضحاك وهو إلى ذلك، مخالفة للمألوف في الطبيعة وفي النسب التشريحية المعروفة للإنسان. إنه تحطيم للجمال والنظام بالوصف المبالغ فيه، وكشف للأقنعة، أي أنه تعريه حقيقية تخز ولا توجع، وهو باختصار نكته قائمة على حقيقة واقعية [30].

وتتأكد قيمة الكاريكاتير الأساسية بالمضمون الفكري والسياسي، الذي يحمله مكثّفاً في كبسولة [31]. وبما أن الدراسة تتناول الكاريكاتير بشقّه السياسي فسأتطرق له بشيءٍ من التفصيل.

الكاريكاتير السياسي

دفعت تطورات الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتسارعها على الساحة العربية ما بعد انهيار الدولة العثمانية والحربين العالميتين الأولى والثانية، وفيما بعد قيام الكيان الصهيوني على الأراضي الفلسطينية عام 1948، بفن الكاريكاتير للتحول من السخرية والنقد الاجتماعي والاقتصادي في الوطن العربي نحو ما بات يعرف بالكاريكاتير السياسي. هذا الشكل الجديد لاقى قبولاً واحتضاناً من قبل الشعوب المتحررة حديثاً من الاستعمار، ورأت فيه تعبيراً صادقاً عن تطلعاتها وآمالها، وأسهم فنانون عرب كثر من المختصين بالكاريكاتير في إلهاب النفوس وتجييش المشاعر في نفوس المواطنين بعد ما ألم بالأمة العربية من هزائم وانقسامات سياسية وطائفية [32].

[28] كاظم شمهود طاهر. **فن الكاريكاتير: لمحات عن بداياته وحاضرة عربياً وعالمياً**. (عمان: أزمنة للنشر والتوزيع، 2003)، ص 13.
[29] عدنان يحيى. **لوري:ملك الكاريكاتير السياسي في العالم**. (عمان: المجلّة الثقافية، العدد 46، كانون أول 1998- آذار 1999)، ص 212.
[30] صقر أبو فخر. **لصوص لكن ظرفاء: الكاريكاتير عن العرب**. (مجلة وجهات نظر، العدد 37، فبراير 2002)، ص 49.
[31] عبد القادر ياسين. **الصحافة سيف ودرع**. (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، 2010)، ص 59.
[32] خالد الفقيه. **مرجع سابق**. ص 3.

والكاريكاتير السياسي هو إيضاحات أو تعليقات مصوّرة تخصّ قضايا سياسية أو اجتماعية والتي توجد في الغالب على الصفحات الافتتاحية للصحف. واستطاع الكاريكاتير السياسي على مر السنين أن يطوّر مجموعة من الخصائص الأسلوبية التي تستعمل الاستعارة البصرية لتوضيح الحالات السياسية المعقّدة. فعلى سبيل المثال، عند قيام الحكومة الأمريكية بأي عمل غير مرغوب فيه فإنه يصوّر بكاريكاتير على هيئة العم سام يقوم بمثل هذا العمل. بهذه الطريقة يكتب الكاريكاتير السياسي افتتاحية الأخبار باستعمال الإيضاحات كاستعارة بصرية مع بضعة كلمات على شكل تعليق [33]. وهو أيضاً تعبير حقيقي عن الآراء المتعلّقة بالأخبار الحالية أو الجارية سواء أكانت سياسية، اجتماعية أو تتعلق بظلم اجتماعي معين قد يثير المصلحة العامة، وتطبع عادةً على الصفحات الافتتاحية للصحف [34].

وللكاريكاتير السياسي وظيفة رئيسية تتمثل في تحريض المتلقي ضد أشكال التجاوز التي تمارس ضده، عبر آلية معقّدة، تشترك فيها المكونات البنيوية للرسم الكاريكاتيري مجتمعة، بغية دفع المتلقي إلى اتخاذ سلوك إيجابي حيال ما يجري في الواقع المعيش. ويتم هذا التحريض عبر مستويين، الأول: فكرة، وفيه يخاطب الكاريكاتير السياسي مجموعة القناعات والآراء والمعارف، والثاني: انفعالي، ويلجأ إلى مخاطبة الشعور وشحذه باستمرار. ومن تفاعل هذين المستويين يولد مخزون تحريضي هائل لدى المتلقي، تكوّنه الإشارات والرموز اللغوية جنباً إلى جنب مع الرسم التصويري [35].

لم يولد الكاريكاتير السياسي ليسد خانة ترف، أو ليحتل مكانه في وسائل الترفيه، كما أنه ليس شأناً جمالياً بحتاً، بل سلاحاً لا يُثلم، تستقوي به مختلف الطبقات الاجتماعية، والقوى السياسية المعبِّرة عن هذه الطبقات [36]. ومثال على ذلك، حملة التوعية بعنوان "أوعى" التي قادها الرسام الكاريكاتيري الأردني عماد حجاج قبيل الانتخابات التشريعية الأردنية في شهر تشرين الثاني من عام 2007، حيث رفعت هذه الحملة شعارات مختلفة من ضمنها (الغايب ماله نايب .... أوعى: مشاركتك حق دستوري .... أوعى: مشاركتك ثمينة .... أوعى: فتح عينك)، وبدأ هذه الحملة لحث الناخبين على المشاركة في الانتخابات البرلمانية، وأوضح أن هذه الحملة لا تستهدف الناخبين فقط لكنها توجّه للمرشحين

[33] M. Treanor, M. Mateas. **Newsgames: Procedural Rhetoric meets Political Cartoons**. (USA: University of California, 2009), P 1.
[34] Encyclopedia International. **"Political cartoon"**. (New York, VoL 4, 1972), P 132.
[35] خلود تدمري، وعبده الأسدي. **مرجع سابق**. ص 25.
[36] صقر أبو فخر. **مرجع سابق**. ص 55.

أيضاً لحثّهم على تجنب المظاهر السلبية كـ "شراء الأصوات" والاعتداء على البيئة أو الممتلكات العامة خلال فترة الدعاية الانتخابية [37].

وللكاريكاتير ثقافة عالية التأثير، إذ يعلم صناع القرار مدى قوتها وأثرها اجتماعياً، فيتوجسون منها الخيفة، محاولين تحاشِ ما تلتقطه من زلات، فهنالك رسامون عرب يملكون قوة تعبيرية هائلة بقالب ساخر لاذع، إذ مل الشارع العربي من جدية تناول القضايا العالقة، بالإضافة إلى نسبة الأمية العالية التي تغزو المجتمع العربي، ما يجعل للكاريكاتير قيمة مضاعفة، إذ لا يحتاج إلى مستوى علمي رفيع لفهمه وتحليليه [38].

الكاريكاتير عبر التاريخ

المتتبع لفن الكاريكاتير يجد أن له تاريخاً طويلاً ومكانه واضحة في التاريخ الحضاري والفني للشعوب، اقترن تطوره بتطور المجتمعات، فقد حفر سكان الكهوف في العصر الحجري على الصخور أولى الرسومات الكاريكاتورية قبل ثلاثين ألف سنة ويعتبر قدماء المصريين والإغريق والرومان من أوائل من استخدم هذا الرسم الساخر [39].

وبالنسبة للبدايات القديمة، ففن الكاريكاتير كان معروفاً عند المصريين القدماء، والآشوريين واليونانيين. فأقدم صور ومشاهد كاريكاتورية، حفظها التاريخ، تلك التي وجدت في تل العمارنة على قطع من الفخار والأحجار الصلبة، وتشمل رسوماً لحيوانات مختلفة، أُبرزت بشكل ساخر واضطلع برسمها العاملون في تشييد مقابر وادي الملوك في عصور الرعامسة، ويرجع تاريخها إلى العام 1250 قبل الميلاد. ولا تعرف الغاية التي توخاها الفنان من هذه الرسومات؛ فلعلها كانت إشارة غير صريحة إلى العلاقة غير المتوازنة بين الحاكم والمحكوم، التي كانت سائدة في تلك الفترة، جسّدها النحاتون في

[37] محمد عايش. **"أوعى" كاريكاتير يدعو الأردنيين للانتخاب**. (موقع إسلام أونلاين، 17 تشرين الثاني، 2007).
[38] عبد الجبار العزاوي. **رسم الكاريكاتير: المهنة التي تثير حفيظة السياسيين**. (العراق: جريدة الصباح، كانون ثاني، 2010).
[39] منى جبر. **فن الكاريكاتير**. (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1977)، ص 7.

أسلوب ساخر، خفي المعنى[40]، ويذكر بأنه عثر على صورة فرعونية قديمة تعود إلى خمسة آلاف سنة تمثل طائراً يصعد على سلم طويل إلى شجرة ويعتبره البعض أقدم رسم كاريكاتيري عرفته البشرية.

ولقد لجأ الكثير من الشعوب البدائية إلى استخدام الأقنعة ذات الأشكال الغريبة والتقاطيع المتحركة حيث يرتديها الكهنة أثناء الاحتفالات الدينية ويؤدون الرقصات، وكانت منتشرة في إفريقيا ولا زالت في كثير من جزر المحيط الهادئ [41].

والكاريكاتير الحقيقي عند الفراعنة بدأ عندما زحفت مصر في هذه الآونة (من عام 1250 قبل الميلاد) على بلاد أخرى وأسرت الكثيرين وقد نظر الفنان المصري فإذا هنالك رجال ليسوا من الفراعنة ولا من الكهنة ولا من السادة، وإنما مجرد رجال أسرى؛ إذ ليس في استطاعته أن يقول رأيه فيهم بمنتهى الحرية وبدون أن يخشى أحداً وهنا أتيحت لهذا الفنان أول فرصة ليصنع الكاريكاتير، وكان بداية هذا الفن الجديد عن طريق نقوش مختلفة نحتها الفنان المصري لهؤلاء الأسرى وصوّرهم في بعضها مثل حزمة بصل، ويقبض فرعون مصر على شعرهم الطويل وفي يده المرفوعة سوط يضربهم به.

وننتقل من الفراعنة إلى دولة الإغريق والرومان ونتوقف في اليونان حيث استخدم هذا الفن للسخرية من الآلهة وقد برزت شهرة مصورهم انتيفل الذي خلق من خياله شخصاً جعله رمزاً ثابتاً لرسوماته سماه جول ليس أي خنزير كما هو الحال في شخص جحا أو العم سام[42].

على أن فن الكاريكاتير الحديث لم ينشأ إلا في نهاية القرن السادس عشر، على أيدي الأخوة كاراتشي في مدينة بولونيا، الذين وضعوا أساساً لأسلوب من التصوير عرف باسمهم، وكثيراً ما كانوا يصورون أصدقاءهم صوراً تدعو إلى الضحك [43]. واستمرت رحلة هذا الفن الساخر وقد ساعدت الطباعة ومن ثم الصحافة على توسيع اهتمام الناس به حتى أصبح من الممكن تداول أعداد من النسخ المطبوعة للرسم الواحد بعد عام 1440، أي منتصف القرن الخامس عشر عصر اختراع

[40] رمزي الطويل. **مرجع سابق**. ص 22.
[41] كاظم شمهود طاهر. **مرجع سابق**. ص 14.
[42] مجد الهاشمي. **الكاريكاتير فن الحياة**. (عمان: دار المناهج، 2003)، ص 33-35.
[43] رمزي الطويل. **مرجع سابق**. ص 24.

الطباعة، وقد أدى هذا التطور التقني إلى بداية شيوع فن الكاريكاتير المرسوم وكان ذلك بعد قرن من ظهور الطباعة بين عامي 1500–1550 [44].

ولعل الدراسات التشريحية الأكاديمية في تصوير ملامح الجسد البشري التي نفّذها الفنان ليوناردو دافنشي (1452–1519م) هي الأولى في فن الكاريكاتير. ولعل المبالغة بلغت أوجها عند الفنان الفلمنكي جيرونيم بوش (1460–1516م) حيث أن المبالغة كانت تطبع معظم أعماله. ويمكن الإشارة أيضاً إلى الأعمال الغرافيكية للفنان شونغاور والفنان إلبرشت درورير والفنان غولبين والهولندي مارتين دي فوس وبيتر باول روبينس والإيطالي غيتسي الذي استخدم المبالغة في رسم ملامح الوجوه. كذلك الفنان الهولندي أوستادي (1610–1686م) الذي استخدم رسوماته للتعبير عن السخرية المستمدة من حياة الناس العاديين، ومن لوحاته الشهيرة الحواس الخمس. كذلك في أعمال الفلمنكي ياردانس و ديبنبيك والفنان الفرنسي جاك كالو (1592–1635م). لكن أول من استعمل الرسم الساخر بهدف النقد هو الفنان الانجليزي وليم هوغارت (1697–1764م) ويعتبر مؤسس النقد الاجتماعي في الفن الأوروبي. كذلك فعل الرسام الاسباني فرنسيسكو غويا (1746–1828م) حيث عالج ظواهر اجتماعية بأسلوب ساخر، وله مجموعة تضم ثلاثين رسماً ساخراً عام 1799، استخدم فيها تعليقاً أدبياً مرفقاً للتشكيل من أجل التوضيح. وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهرت مجموعة من الرسامين الانجليز على رأسهم توماس رولاندسون حيث أرسى فن الكاريكاتير في انجلترا كفن مستقل [45].

غير أن الكاريكاتير كفن إنساني متميز هو فن حديث نسبياً نشأ في أوروبا في القرن الثامن عشر تقريباً. ومع أن بعض الرسومات الساخرة كانت شائعة في أوروبا قبل تلك الفترة، لا سيما تلك الرسومات التي كانت تصوّر رجال الكنيسة وخصومها بأشكال ساخرة مثلما كان يفعل ليوناردو دافنشي منذ سنة 1490 فصاعداً، فإن فن الكاريكاتير لم يصبح فناً مستقلاً إلاّ مع ازدهار الصحافة وانتشارها في القرن الثامن عشر فصاعداً، ولم ينتعش إلا مع ازدهار النظم الديمقراطية وإطلاق حرية التعبير والنقد. أما كلمة كاريكاتير فقد تأخر ظهورها في القاموس الانجليزي أول مرة حتى سنة 1755م. وكان للثورة الفرنسية سنة 1789م الفضل في تحرير الفنانين من القيود القديمة، فبرز منهم آنذاك الرسام دومير الذي يعد من أعظم الرسامين السياسيين في ذلك العصر. وقد ظهرت رسومه مدوّية عنيفة بعد

[44] مجد الهاشمي. **مرجع سابق**. ص 39.
[45] عز الدين المناصرة. **لغات الفنون التشكيلية: قراءات نظرية تمهيدية**. (عمان: دار مجدلاوي، 2003)، ص 91.

الثورة، وكانت ناقدة تسخر من الأوضاع السائدة والتقاليد الشائعة. ويعد الرسام الفرنسي أونوريه دومبيه (1808–1979م) هو مؤسس هذا الفن فعلاً في شكله الحديث [46].

تاريخ الكاريكاتير العربي

أغلب الباحثين العرب اعتمدوا على تصوير الكاريكاتير كفن وأصول غربية بحتة، لكن هذا خلاف لما توصل له الباحث رمزي الطويل في دراسته "تاريخ الكاريكاتير الفلسطيني"، حيث ذكر إلى أن الكاريكاتير لم يكن معروفاً باسمه هذا عند العرب وإن وجد، ويقول بأنه يمكن أن نطلق على كل رسم لا يعتمد على تصوير الحقيقة أو يعتمد على اختلاق صورة غير موجودة، فناً كاريكاتورياً، وبناءً على هذا يمكن إدخال فن التصوير العربي إلى حيز دراسة تاريخ الكاريكاتير، ويضع بين أيدينا مثالاً لإثبات صحة أن الكاريكاتير هو أيضاً من ظواهر الحضارة العربية –ولو لم يكن يعرف باسمه أو بصفاته التي ظهرت لاحقاً– وهو كتاب مقامات الحريري، حيث يورد الباحث رسم من هذا الكتاب للمصور العربي جهجا بن محمد الواسطي (بغداد/ سنة 1273م)، وهو رسم من مجموعة رسومات لتصوير قصص الأديب العربي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، التي تقوم على قصص وطرائف من وقع خيال الكاتب، هنا قام المصوّر الواسطي برسم هذه الرسوم للتعبير عن جو القصة، وفي هذه الحالة بالإمكان اعتبار هذه الرسوم رسوماً كاريكاتورية كونها تصوّر واقعة خيالية تعبر بداخلها عن مضمون اجتماعي، وموجهة للناس كافة وليس لطبقة من الطبقات [47].

وهناك دليل آخر يدل على وجود فن الكاريكاتير في التاريخ العربي، حيث يذكر الأصمعي في كتابه "تجميل الكتب" أن رجلاً من العراق يدعى حمدان الخراط البصري عاش في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي واشتُهِرَ بتصوير الأشخاص والحيوانات، وقد كلّفه الشاعر بشّار بن برد بأن يصوّر له طيراً على قطعة من زجاج، فصوّرها له الرسام. لكن بشّاراً لم يعجبه الرسم فهدده بالهجاء، فرد عليه المصور بتهديد مماثل قائلاً: "سأصوّرك على باب داري بهيئتك هذه وعلى عاتقك قرد آخذ

[46] صقر أبو فخر. **مرجع سابق**. ص 49-50.
[47] انظر: رمزي الطويل. **مرجع سابق**. ص 28-29 / كاظم شمهود طاهر. **مرجع سابق**. ص 17.

بلحيتك حتى يراك الصادر والوارد"، فقال بشّار: "اللهم اخزه فأنا أمازحة وهو يأبى إلاّ الجد" [48]. ومن هنا يتضح أن فن الكاريكاتير مارسه العرب قبل الفنانين الأوروبيين بعدة قرون.

ويؤكد الفنان الإيطالي انطونيوني فاسكوني أن الشرق هو الجذر الحقيقي للكاريكاتير وكان وسيلة الفنان لنقد العادات والتقاليد الاجتماعية بالسخرية منها، لكنه لم يرتفع إلى مستوى نقد السلطة، فالسلطة في الشرق دائماً مقدّسة وكذلك كانت في أوروبا، حتى تم فصل الدين عن الدولة وعندها انتفض الكاريكاتير في جدله الخلاّق مع الديمقراطية فهو وليدها وهي وليدته، ولم تعد السلطة بمنأى عن سياطه [49]. تأخر ظهور أو دخول الكاريكاتير بشكله الحديث إجمالاً في العالم العربي، ويجمع الباحثين على أن بدايات الكاريكاتير الحديث ظهرت في مصر مع دخول الطابعة إليها مع الحملة الفرنسية، ولإلقاء الضوء على هذا الفن في العالم العربي لا بد من التطرق لبداياته في الدول العربية.

الكاريكاتير في مصر

الكاريكاتير لم يبدأ طبعه في مصر إلاّ في أواخر حكم الخديوي إسماعيل علي على يد يعقوب بن صنوع الذي أصدر مجلته الساخرة "أبو نضارة" عام 1877م [50]، الذي أبدع شخصيات كاريكاتورية مشهودة من بينها "شيخ البلد" التي ترمز إلى الخديوي إسماعيل، و "أبو الغلب" التي ترمز إلى الفلاح المصري المطحون. وغضب الخديوي فأغلق الصحيفة ونفى صنوع إلى باريس لكن الأخير لم يصمت بل أعاد إصدار صحيفته تحت أسماء أخرى مثل "أبو صفارة" و "الحاوي الحكاوي". وفتح أبو نظارة الباب أمام ظهور صحف ساخرة فأصدر المناضل الكبير خطيب الثورة العرابية عبد الله النديم صحيفة "التبكيت والتنكيت"، ثم ظهرت صحيفة "الابتسام" بالإسكندرية عام 1894م التي كانت أول صحيفة عربية تضع رسماً على غلافها [51].

[48] أنظر: صقر أبو فخر. **مرجع سابق**. ص 50 / كاظم شمهود طاهر. **مرجع سابق**. ص 17.
[49] صافي الياسري. **المرآة الحقيقية لما يجري خلف الكواليس: الكاريكاتير وليد الديمقراطية المدلل**. (العراق: جريدة الصباح الجديد، 21 تشرين الأول، 2007).
[50] مجد الهاشمي. **مرجع سابق**. ص 58.
[51] عمار علي حسن. **مرجع سابق**. ص 142.

استقطبت القاهرة أهم رواد هذا الفن في العالم، حيث كان الفنان الأرمني صاروخان في مقدمة الفنانين الذين أسسوا طريقة وأسلوباً خاصاً به وترك بصمة لا تنسى على الفن الكاريكاتوري، وكان للفنان التركي رفقي هامش من الحرية، والذي اتخذ القاهرة مكاناً لممارسة نشاطه الفني أيضاً، وحضور آخرين من اسبانيا وايطاليا جعل هذا الفن أكثر شعبية بين أوساط المثقفين ورجال السياسة، وسادت أعمالهم نبرة السخرية من الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة، واعتبر هؤلاء أن فن الكاريكاتير رسالة إنسانية لا تقل أهمية عن أي رسالة أخرى، تهدف إلى التطهير والتحريض في آن معاً، كما هي الهدف من الأعمال المسرحية الكوميدية، والكتابات الساخرة [52].

ثم ظهر صلاح جاهين وجورج البهجوري ورباح الصغيّر وبهجت عثمان، وكان هؤلاء هم الدفعة التي غيرت وجه الكاريكاتير العربي في أوائل الخمسينيات، فقد نجحوا في ابتكار شخصيات عبروا من خلالها عن همومهم ومواقفهم السياسية والاجتماعية، وجعلوها دعوة للتغير والتحرر من سيطرة الاحتلال للوطن [53].

الكاريكاتير في لبنان

الكاريكاتير كفن مميز لم يظهر في لبنان إلاّ عندما أصدر يوسف مكرزل مجلة "الدبور" في 1923|1|1 ليؤسس بذلك لجيل من الرسامين اشتهر منهم –فيما بعد– خليل الأشقر وديران وستافروا جبرا وبيار صادق وجان مشعلاني وايلي صليبا، والفنان الفلسطيني المبدع ناجي العلي.

ويعتبر عزت خورشيد بحق أول رسام كاريكاتير في لبنان. وبعد الدبور كرّت سلسلة من الصحف الهزلية أبرزها: "أبو دلامة" لمحمد شهاب 1927، و"أبو الرياح" لعزيز عوض 1927، و"الصياد" لسعيد فريحة 1943، و"الأربعون حرامي" لإسكندر رياشي 1960، و"جحا" لفريد الكفوري و"شاش باش" لنمر الصيداني [54].

[52] عبد الناصر حسّو. **الكاريكاتير الضحك المرّ**. (سوريا: الملحق الثقافي لجريدة الثورة السورية، 2 تشرين الأول، 2007).
[53] رمزي الطويل. **مرجع سابق**. ص 30.
[54] صقر أبو فخر. **مرجع سابق**. ص 50.

الكاريكاتير في سوريا

عرفت دمشق الفكاهة وكانت عصبة الساخرين. وصحف السخرية والفكاهة لم تكن بعيدة عن حياة المواطن والإنسان، فقد كانت لمجالس البارودي الصدارة في موضوع السخرية والضحك، وهو الذي ألف مجلة سماها "حط بالخرج" ومن بعده جاء عميد الصحافة الساخرة الأستاذ حبيب كحالة صاحب مجلة "المضحك المبكي" التي أنشأها سنة 1929، أيام الانتداب الفرنسي. وكان يسخر من السياسيين تارة ويداعبهم تارة، ويهاجمهم بأسلوبه الضاحك، وظلت المضحك المبكي، على سخريتها معتمدة على الرسم الكاريكاتيري وزاويتها الرائعة "حديث سياسي حشاش، وفتاوى خنفشارية" فترة طويلة [55]. ثم ظهرت بعدهم نخبة جيدة من الرسامين الذين أخذوا ينشرون أعمالهم في الصحافة السورية مثل: ممتاز البحرة وعلى فرزات ويوسف عبد لكي وعبد الهادي الشماع وياسين الخليل وسعد حاجو وموفق قات وحميد قاروط وغيرهم[56].

الكاريكاتير في العراق

المتصفح لتاريخ العراق الطويل يرى المآسي والويلات، جراء النكبات واحتلال الاستعمار وأخطار الفيضانات والأمراض والفقر، حيث كان لهذه الأسباب الأثر البالغ في تكوين الشخصية العراقية القريبة إلى روح الجد من الهزل، وأميل إلى الحزن من الانفتاح والمسرة، حتى النكتة العراقية اتصفت بالغصة المكبوتة الهادفة والسخرية المريرة [57].

ولذا نستطيع القول بأن حظ الصحافة من الهزل والكاريكاتير كان ضئيلاً ولذلك عوامل: أولها، أن العراقي جاد بطبعه بعيد عن روح الفكاهة بخلاف المصري الذي تخالج فكرته النكتة وتفعم قلبه مرحاً على الدوام. وثانيهما، أن الكتابة الفنية الهزلية والكاريكاتورية بمعناها العصري في الصحافة شيء جديد في بلاد الرافدين [58].

---

[55] أحمد المفتي. **فن رسم الكاريكاتير**. (دمشق: دار دمشق، 1997)، ص 14.
[56] كاظم شمهود طاهر. **مرجع سابق**. ص 85.
[57] جميل الجبوري. **صفحة من تاريخ الهزل والكاريكاتير في العراق**. (بغداد، 1969)، ص 3.
[58] روفائيل بطي. **الصحافة في العراق**. (مصر، 1955)، ص 120.

من أبرز صحف الهزل والكاريكاتير في الصحافة العراقية، صحيفة مرقعة الهندي 1909، جريدة بالك، خان الذهب، البلبل، الأسرار، جكة باز، الفسطاس، بابل، البدائع، جحا الرومي، الحقائق، الهزل، كناس الشوارع، المداعب، سينما الحياة، الكرخ، صدى الحقائق، الناقد، الرصافة. وصحيفة حيزبور التي أصدرها الفكه نوري ثابت 1931–1938، وتعتبر أطول صحف الهزل والكاريكاتير والفكاهة والنقد عمراً تلتها بهلول، وقرندل. ومن أبرز الرسامين الكاريكاتيرين الذين رسموا في حيزبور ناصر عوني وسعاد سليم اللذان يعتبران من رواد الرسم الكاريكاتيري في العراق، بالإضافة إلى فائق حسن ومصطفى طبره ومحمود أبو طبرة وعبد الجبار محمود.

وتعتبر كناس الشوارع لصاحبها ميخائيل تيسي من أبرز الصحف الهزلية التي صدرت عام 1925، أي بعد الحرب العالمية الأولى، وصدور هذه الجريدة يعد بداية لظهور الكاريكاتير في الصحافة العراقية.

ثم صدرت مجلة القرندل سنة 1947، كمجلة فكاهية سياسية ظهرت على صفحاتها أولى رسوم الرسام الكاريكاتيري غازي عبد الله قاسم [59].

الكاريكاتير في فلسطين

إن التاريخ الوحيد الموثّق عن أقدم مطبوعة عنيت بالكاريكاتير في فلسطين هي مجلة "الأخبار"، وهي صحيفة تأسست في 29 حزيران 1909. وعلى الرغم من ظهور الكاريكاتير في هذه السنة، فإن فكرة الرسوم الكاريكاتورية كانت أحدث من أن يتقبلها الجمهور الفلسطيني، فقد تغير توجه المجلة العام فيما تقدم لتتحول إلى مجلة سياسية أدبية فقط.

وكان عام 1934م البداية للانطلاقة الحقيقية للكاريكاتير الفلسطيني، وذلك لاعتبارات عدة، أهمها ظهور جريدة الدفاع، التي قامت باستخدام كثيف للكاريكاتورات العالمية في بداية انطلاقها،

[59] مجد الهاشمي. **مرجع سابق**. ص 84-94.

واستمرار صحيفة الدفاع باستعمال الكاريكاتير على الصفحات الأولى، ما جعل الكاريكاتير متقبلاً لدى الجمهور الفلسطيني، وهذه النتيجة لم تظهر سوى في العام 1936 بشكل واضح المعالم، وعلى صفحات جريدة فلسطين.

من الملاحظ أن الكاريكاتير قد أصبح من أساسيات الصحف الفلسطينية في الأعوام التي تلت ثورة عام 1936، ووصلت إلى مرحلة النضج المهني والتقبل الشعبي لتصدر مجلة كاريكاتورية بشكل رسمي في العام 1945، وهي مجلة "الرأي العام" الكاريكاتورية، للأستاذ أحمد خليل العقاد، وظهور الكاريكاتير في مجلات وصحف فلسطينية عدة، منها مجلة المستقبل، الرأي العام، النفير، وهذه هي المجلات التي توفر فيها دليل مادي على وجود الكاريكاتير في موادها، إلاّ أن هذا التقدم لم يكتمل، أو لم يكتب له النجاح، وذلك بسبب حدثين أساسيين، أولهما أحداث النكبة وما نتج عنها من توقف صدور الكثير من المطبوعات، التي كانت مراكزها مدن الساحل بشكل عام، ومدينتي يافا وحيفا بشكل خاص، ولقد كان للنكبة الأثر الأكبر في اختفاء معظم المصادر والمراجع، التي أصبح مصيرها الآن على أفلام الميكروفيلم في الجامعات والمكتبات العبرية. وثاني حدث هو صدور قوانين المطبوعات الأردنية وبخاصة العام 1950، والتي ألغت امتياز عدد من الصحف والمجلات، وما تبعه من قوانين في العام 1967 التي أدت إلى دمج بعض الصحف واختفاء أخرى، كصحيفة الدفاع التي دمجت مع صحيفة الجهاد، لتصدر عنها صحيفة الرأي الأردنية، وتوقف فلسطين عن الصدور واختفاء الرأي العام. لقد كان لهذه القوانين أن تقتل ما تبقى من الصحف الفلسطينية التي كانت تصدر في حدود فلسطين التاريخية، وعليه كان حال الكاريكاتير في فلسطين لارتباطه الوثيق بالصحافة الفلسطينية.

إن ما يميز الكاريكاتير الفلسطيني ما بعد العام 1950، هو ظهور الكاريكاتير الفلسطيني الجنسية مرة أخرى وبشكل أوضح وأقوى، ولكن خارج نطاق حدود فلسطين التاريخية، فقد ظهرت رسوم الرسام الفلسطيني الأول رباح الصغّير على صفحات الصحف الأردنية في منتصف الخمسينيات، بالإضافة إلى الرسام زكي شقفة. وفي بدايات الستينيات، وتحديداً 1962، ظهرت رسوم الرسام بهاء الدين البخاري في الصحف الكويتية، لتلحقها رسوم الشهيد ناجي العلي على الصحف الكويتية، وبعد اختفاء كاريكاتورات رباح الصغير عن الصحف الأردنية، كانت رسوم الرسام جلال الرفاعي قادرة على ملء الفراغ الفني، ثم سطوع نجم الرسام الفلسطيني عماد حجاج في بداية التسعينيات [60]. وهناك على الساحة الفلسطينية صحيفتين واسعتي الانتشار، هما جريدة القدس والأيام ومن خلالهما تنشر أهم

[60] رمزي الطويل. **مرجع سابق**. ص 34-58.

رسوم الكاريكاتير لأبرز رسامي الكاريكاتير الفلسطينيين، من أبرزهم خليل أبو عرفة وأمية جحا ومحمد سباعنة، وموسى عجاوي الذي يرسم في جريدة القدس العربي.

أما بالنسبة للكاريكاتير في الأردن فلم يستدل على أي تاريخ يذكر لهذا الفن في هذا القطر، فهو فن حديث في ظهوره، ولكن يلزم الإشارة إلى أن هناك رسامي كاريكاتير بارزين في الصحافة الأردنية وهم جلال الرفاعي وعماد حجاج، ولهم الفضل في إثراء هذا الفن على الساحة الأردنية.

الكاريكاتير في المغرب العربي

تأخر الكاريكاتير عن الصحافة في المغرب العربي حتى الستينيات، وفي هذه الفترة أصدر عبد السلام السفياني مجلة "النقاد" ثم أصدر أحمد السنوسي والحسين بن ياز مجلة "الهدهد". ومن بين الصحافة الهزلية اشتهرت "كيخ كيخ" و"الأسبوع الساخر" و"الأسبوع الضاحك" و"التقشاب"، ومن بين الرسامين برز المغربي العربي الصبان وإبراهيم لمهادي والليبي محمد الزواوي والجزائري رشيد قاسي، والتونسي حبيب بوحوال الذي انطلقت تجربته مع القلم والخط منذ السبعينيات [61].

الكاريكاتير في دول الخليج

يعد فن الكاريكاتير فناً حديثاً في دول الخليج، وهو مرتبط بالتطور الذي حصل فيها على جميع الأصعدة من جراء اكتشاف النفط وما له من تأثير على تنمية هذه الدول اقتصادياً واجتماعياً، والذي أثر بدوره على تطور الصحافة في هذه الدول وبالتالي ظهور الكاريكاتير، وتعد دولة الكويت من أهم دول الخليج في هذا المجال، وذلك من حيث عدد وتنوع رسامي الكاريكاتير الذين قاموا بنشر رسومهم في صحفها، فقد عمل في الصحف الكويتية رسامي كاريكاتير من جنسيات عربية مختلفة، كان من أبرزهم رسام الكاريكاتير الفلسطيني الراحل ناجي العلي. ولا يوجد لهذه الدول تاريخ للكاريكاتير بمعنى التاريخ، لذا سأكتفي بسرد أهم أسماء الرسامين في الخليج. ففي السعودية عدد لا بأس به من

[61] صقر أبو فخر. **مرجع سابق**. ص 50.

الرسامين منهم علي الخرجي ومحمد الخنيفر ورشيد السليم وعبد السلام الهليل وهناء الحجار وسالم الهلالي وعبد العزيز الربيع وجلال الخير الله ويزيد الحارثي، أما في الكويت فهناك حمد مطر العجيل وعادل القلاف، وفي اليمن فضل العقيلي، والبحرين حمد الغائب، والإمارات حيدر محمد، وعُمان أيمن سالم، وفي قطر كل من عبد العزيز صادق وسلمان المالك.

أما دول **السودان والصومال** فهناك أسماء لامعة في هذا المجال منها على سبيل المثال لا الحصر، الصومالي محمد عبد الكريم مختار وأمين عامر محمد، والسودانِيَين عز الدين عثمان وعبد العظيم بيرم [62].

تاريخ الكاريكاتير في الولايات المتحدة الأمريكية

في سنة 1754 أبدع بنجامين فرانكلين برسم أول كاريكاتير سياسي أمريكي يحث فيه المستعمرات البريطانية أنذاك على التوحد لمحاربة فرنسا وحلفائها الهنود فيما عرف آنذاك بالثورة الأمريكية. تلى ذلك بفترة الاستقلال لهذه الولايات وإعلان دستور الولايات المتحدة الأمريكية، يليه وثيقة الحقوق أو التعديلات العشر الأولى على الدستور التي تنص في أول تعديل له على حرية التعبير والرأي وحرية الصحافة، وقد أعطى هذا التعديل كامل الحرية لرسامي الكاريكاتير وقدّم الحماية لهم من تهم التشهير أو حتى الاضطهاد الحكومي، وذلك عبر آلية القضاء التي أقرت مجموعة من المحاكم على نطاق الولايات [63].

وقد ازدهر الكاريكاتير في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بسبب هجرة الفنانين الأوروبيين إليها وبسبب الأحداث الأمريكية العاصفة. ومن رسّامي الكاريكاتير في الولايات المتحدة الأمريكية: دوف وأموس دوليتل وويليام تشارلز (1776–1820) وإدوارد كلي وجوزف كيبلر وفردريك أوبير وتوماس ناست (1840–1902) وغيرهم. وكانت أول مجلة ساخرة في الولايات المتحدة مجلة هاربر عام 1857م [64]. ولقد صرخ السياسي الأمريكي وليم توبد ألماً من الأثر البالغ الذي أحدثته رسوم

[62] أنظر: ويكيبيديا. **الكاريكاتير في العالم العربي**.

[63] H. Katz. "**An Historical look at political cartoons**". (Nieman Reports: Harvard university, VoL 58, No 4, winter 2004), P 44.

[64] عز الدين المناصرة. **مرجع سابق**. ص 92-93.

توماس ناست، وقال قولاً شهيراً في هذا الشأن مفاده "أوقفوا هذه الرسوم الملعونة، أنا لا أهتم بما تكتبه الصحف، فالناخبون لا يستطيعون القراءة، لكن بوسعهم مشاهدة الرسوم وفهمها" [65].

ووضع أساس فن الكاريكاتير في الولايات المتحدة الأمريكية رجل من أصل اسكتلندي يدعى ويليم تشارلس، أرغم على مغادرة وطنه والنزوح إلى أمريكا في أوائل القرن التاسع عشر. وكان أكثر أعماله طعناً في بريطانيا العظمى. وفي عصر الرئيس جاكسون، نبغت طائفة من المصورين الهزليين، ابتدعت أسلوباً جديداً، وهو وضع الكلام المراد النطق به ضمن دائرة بشكل عقدة الأنشوطة، أو بشكل آخر متصل بفم الشخص المصوَّر [66].

وقد بدأ فن الفكاهة والكاريكاتير الساخر في الولايات المتحدة الأمريكية بالانتشار في نيويورك في نهاية القرن التاسع عشر على يد ثلاثة ناشرين هم: جوزيف بوليتزر Joseph Pulitzer ووليم راندولف William Randolph وجيمس كوردون James Cordon.

وقد أصدر هؤلاء ثلاث مجلات أسبوعية ملونة مختصة برسوم الفكاهة والحكايات المصورة، وكانت موجهة في البداية إلى المهاجرين الأجانب الذين لا يتقنون اللغة الإنكليزية جيداً. وقد نجحت هذه المجلات نجاحاً كبيراً وازدادت شعبيتها.

وظهر في هذه الفترة رسام كاريكاتيري ممتاز هو ريجارد اوتكاولت ولد سنة 1863 وعمل مع الناشر بوليتزر في مجلة العالم، وبدأت رسومه الكاريكاتيرية وحكاياته المصورة تظهر سنة 1895 واشتهر بشخصيته المعروفة بـ الطفل الأصفر Yellow Kid.

وظهر أيضاً عدد من المجلات الفكاهية الأخرى منها: Puck سنة 1877 وتخصصت بالكاريكاتير السياسي الساخر، ومجلة Judge سنة 1881 واهتمت بالفكاهة الشعبية والمبتذلة، ومجلة Life سنة 1883 وقد عنيت بالفكاهة النظيفة والمثقفة. ومن رسامي هذه الفترة روبين غولدبيرج

[65] عمار علي حسن. **مرجع سابق**. ص 142.
[66] رمزي الطويل. **مرجع سابق**. ص 28.

وميلتون غروس، وقد اشتهرا بمسلسلاتهما الفكاهية بين الأعوام 1915–1929، وهي فترة تألق فن الكاريكاتير الأمريكي [67].

بدأ فن الكاريكاتير بشكله الصحفي في الولايات المتحدة عام 1884 عندما قام جوزيف بوليتزر بطباعة الكاريكاتير السياسي في مجلته العالم في مدينة نيويورك، وقد احتوت على رسم كاريكاتيري للمرشح الجمهوري للرئاسة آنذاك. غيّر بوليتزر وجه الصُّحف بشكل مثير بإنتاج مجلته العالم، التي كانت في ذلك الوقت مشوِّقة وملفتة للأنظار باحتوائها على رسوم كاريكاتورية جذّابة وعلى إيضاحات للأخبار، حيث كانت تنبض بالحيوية لما أدخل عليها من تقنية جديدة في الطباعة والنشر. وتبعه في ذلك ويليام راندولف هيرست، وأصبح بذلك تقليد سائد في الصحافة الساخرة في الولايات المتحدة [68].

المبحث الثاني: الرأي العام

تعريف الرأي العام

منذ بدأ استخدام مصطلح الرأي العام في أواخر القرن الثامن عشر في فرنسا وهناك جدل حول تعريفه ومكونات هذا التعريف، فرغم أن الرأي العام من أكثر المفاهيم الشائعة الاستعمال اليوم في العلوم الاجتماعية وفي لغة السياسة اليومية على السواء، إلا أنه يظل مفهوماً زئبقياً يصعب تعريفه رغم كثرة استخدامه [69]. ولتوضيح مفهوم الرأي العام ذهب بعض الباحثين إلى تفسير معنى كلمتي "الرأي" و"العام" المكونة لمصطلح الرأي العام ولكي نعرف ما هو الرأي العام يتوجب تفكيكه إلى مكوناته الأساسية وهي الرأي والعام [70].

[67] كاظم شمهود طاهر. **مرجع سابق**. ص 36-37.
[68] R. Walker. **Political Cartoons: Now You See Them**. (Canadian Parliamentary Review, spring 2003), P 17.
[69] صبحي عسيلة. **" الرأي العام"**. (القاهرة: مجلة مفاهيم، العدد 23، نوفمبر 2006)، ص 21.
[70] سناء الجبور. **الإعلام والرأي العام "العربي والعالمي"**. (عمان: دار أسامة، 2010)، ص 6.

من الناحية اللغوية، فإن كلمة الرأي تعني: الاعتقاد والعقل والتدبر والتأمل [71]، أما كلمة العام فهي اسم جمع للعامة وهي خلاف الخاصة، وتعني العام من كل أمر [72].

أما بالمعنى الاصطلاحي، فكلمة الرأي تأتي بمعنى حكم أو وجهة نظر للإنسان الفرد أو الجماعة كمنتج عقلي مبني على التجربة والملاحظة والخبرة والموروث الثقافي للفرد أو الجماعة، وتتم عملية التعبير عنه بشكل ظاهر علني أو مستتر وبطرق مختلفة ووسائل متعددة، في الكلمة أو الحركة أو الصورة أو النظرة المعبرة أو الإشارة وحتى بالصمت والسكوت [73]. أما كلمة عام فيقصد بها كما يقول بلومر: جماعة من عامة الشعب [74].

وهناك العديد من الساسة والمفكرين الذين قاموا بإعطاء تفسيرات لمصطلح "الرأي العام" كل حسب معتقداته والأيديولوجية والمعتنق الذي ينتمي إليه، وحسب طريقة فهمه للمصطلح، وسأسرد فيما يلي بعض من هذه التعريفات، لمفكرين غربيين وعرب، ومنها تعريف ليوناردو دوب للرأي العام بأنه: "يشير إلى سلوك الناس حول مسألة معينة عندما يكونون أعضاء جماعة اجتماعية متماثلة"، ويعرفه ديفيد ترومان بأنه: " يشكل آراء جماعة من الأفراد يشكلون العامة لهم أساليبهم عند المناقشة، ولا تتضمن كافة الآراء التي يحملها هؤلاء الأفراد، بل فقط تلك الآراء المتعلقة بالمسألة أو الوضع الذي يميزهم كعامة" [75].

وقد عرّف مختار الهامي الرأي العام بأنه "الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم النقاش حولها وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمتها الإنسانية الأساسية" [76]. ومن بين التعريفات أيضاً تعريف الدكتور إسماعيل علي مسعد بأن: "الرأي العام هو حصيلة أفكار ومعتقدات ومواقف الأفراد والجماعات إزاء شأن من شؤون تمس النسق الاجتماعي

[71] **المنجد في اللغة العربية والإعلام**. (بيروت: مطبوعات دار المشرق، 1992). ص 243.
[72] ابن منظور. **لسان العرب**. (بيروت: دار صادر، 1956)، ص 427.
[73] سناء الجبور. **مرجع سابق**. ص 6.
[74] محمد منير حجاب. **أساسيات الرأي العام**. (القاهرة: دار الفجر، 1998)، ص 13.
[75] محمد ومنذر الدّجاني. **مقدمة في العلوم السياسية**. (القدس: منشورات جامعة القدس، 2009)، ص 184.
[76] هشام محمود الأقداحي. **الرأي العام والدعاية الدولية**. (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2010)، ص 13.

كأفراد أو منظمات ونظم والتي يمكن أن يؤثر في تشكيلها من خلال عمليات الاتصال التي قد تؤثر نسبياً أو كلياً في مجريات أمور الجماعة الإنسانية على النطاق المحلي أو الدولي" [77].

فالرأي العام هو عبارة عن: "ضروب من سلوك أفراد، يتضمن التعبير باللغة والألفاظ الخاصة بما يفهمه ذلك الشعب أو تلك الأمة، وهي تمارس من جانب أفراد عدة، وتنشط وتوجه نحو موضوع معين وعلى نطاق واسع في أمور اقتصادية أو سياسية أو غيرها" [78].

ولقد زادت أهمية الرأي العام في المجتمع الدولي المعاصر نتيجة لظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتقدم العلم والمعرفة. كما برزت قوة الرأي العام وتأثيره بعد أن زادت التجمعات الجماهيرية في المدن والمناطق الحضرية بعد الثورة الصناعية وقيام النظم الديمقراطية وما تبع ذلك من توسع في الحقوق الإنسانية، وخاصة فيما يتعلق بحرية المرأة، وحق التعليم. وقد كان لانتشار التعليم، وتطور الطباعة، وظهور البرق والهاتف، واختراع آلات التصوير، والتطور العظيم في وسائل المواصلات وظهور أجهزة الإعلام الجماهيرية الحديثة وخاصة الصحف، والإذاعة، والسينما والتلفاز، كان لكل ذلك أثره الفعال والمباشر على سرعة انتشار الأفكار والآراء [79].

العوامل المؤثرة في تشكيل الرأي العام

تؤثر عوامل عديدة في تشكيل الرأي العام سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وهي تسهم في تحديد طبيعة الرأي العام واتجاهاته المختلفة، وفيما يلي عرض لاثنين من هذه العوامل والتي تخدم بشكل مباشر مجال الدراسة، وهي كالتالي:

أولاً: وسائل الاتصال الجماهيرية (وسائل الإعلام) [80]

[77] سناء الجبور. **مرجع سابق**. ص 12.
[78] محمد الحسيني الشيرازي. **الفقه: الرأي العام والإعلام**. (بيروت: دار العلوم، 2006)، ص 66.
[79] هشام محمود الأقداحي. **مرجع سابق**. ص 120.
[80] صبحي عسيلة. **مرجع سابق**. ص 30.

مما لا شك فيه أن التقدم التكنولوجي الهائل في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وتناقلها، أدى إلى بروز دور الإعلام ووسائله بشكل فاعل في الحياة الاجتماعية والسياسية. إذ يعتبر الإعلام وسيلة وقناة مهمة لتزويد المواطن بمعلومات عن السياسة السائدة والأحداث المختلفة في المجتمع، وهي كذلك وسيلة تتصف بالمرونة والسرعة والقدرة على التغلغل في جميع أرجاء الدولة، بل والعالم. وكذلك فإن وسائل الإعلام تمنح النخب السياسية في المجتمع إمكانيات وقدرات هائلة، تجعلها قادرة على التأثير باتجاهات الرأي العام وتكوينه. وبالإضافة إلى ذلك فإنها تمنح المواطنين قدراً واسعاً من المعلومات، وتربطهم بعالم السياسة ومتغيراته المختلفة.

وقد يكون لوسائل الإعلام أثراً كبيراً في الحياة السياسية في بلد معين، بحيث تعمل على اختلال موازين القوى الموجودة، فتضعف من هم أقوياء وتقوي من هم ضعفاء. فتساهم بذلك بشكل كبير في عملية الحراك السياسي في الدولة. ويعتمد مقدار هذا الأثر لوسائل الإعلام على مقدار تحضر الدول وتقدمها وممارستها لقواعد الديمقراطية وأسسها، فالدول الأكثر ديمقراطية تعطي مجالاً واسعاً لعمل وسائل الإعلام في عملية التفاعل الاجتماعي والسياسي. وعلى العكس من ذلك تكون الأنظمة الشمولية والدكتاتورية، فهي تضيِّق باستمرار على وسائل الإعلام وتقيد حركاتها، فلا يكون لها ذلك الدور الفاعل في عملية الحراك الاجتماعي والسياسي [81].

ثانياً: نوع وطبيعة القضية

يتباين اهتمام الرأي العام من قضية لأخرى حسب نوع وطبيعة القضية المثارة ومدى ارتباطها بمصالح الرأي العام. وقد انتهت البحوث والدراسات العلمية في هذا الشأن إلى أن القضايا والموضوعات محل اهتمام الإعلام والرأي العام لا تتساوى في أهميتها، كما أن القضايا والموضوعات ذات الصلة بالآراء والمعتقدات والاتجاهات التي ترتبط بالدين والانتماء القومي تتسم بدرجة كبيرة من الثبات والقدرة على مقاومة التغيير، كما انتهت أيضاً إلى وجود ارتباط ايجابي بين مستويات معرفة

[81] فراس صليح. **الرأي العام الفلسطيني وأثره على تحديد التوجهات السياسية لصناع القرار وعملية صنع القرار السياسي الفلسطيني "1993-2006"**. (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2009)، ص 39.

الأفراد بالقضية المثارة في أوساط الرأي العام ورغبتهم في التعبير العلني عن الرأي، فكلما زادت معرفة الفرد بالقضية المثارة، زادت رغبته في التعبير العلني الحر عن رأيه[82].

الرأي العام العربي

إن ماهية الرأي العام العربي وحدوده وهل هو موجود أم أنه تجميع لمواقف الرأي العام القطري، هي قضية إشكالية، خاصة وأن الرأي العام العربي بالمعنى العابر للحدود القطرية قد توفرت له عناصر دعم عديدة بفضل القنوات الفضائية ومواقع الانترنت والشعور العام بالتحدي وعدم القدرة على مواجهة إسرائيل والتدخل الأمريكي في المنطقة، ومع ذلك فقد انقسم الرأي العام العربي على نفسه بحدّه في كثير من المواقف، ومنها على سبيل المثال الاحتلال العراقي للكويت والمواقف من الاستعانة بالقوات الأجنبية لتحرير الكويت، ثم تكرر الانقسام وبصورة أقل حدّه إزاء غزو العراق، ويبدو أن الانقسام الحاد يعود من جديد بين فئات الرأي العام حول الدور الأمريكي في فرض الإصلاح السياسي في الدول العربية.

ويمكن القول بأن الرأي العام العربي أو الرأي العام الإسلامي العابر للحدود القطرية ليس حقيقة ثابتة، بل هو معطى متغير ويعتمد في مواقفه على تفاعل مواقف الرأي العام القطري في كل قطر على حِدا، بالإضافة إلى الثوابت المشتركة التاريخية والثقافية، أي أنه حاصل تفاعل لمجموع مواقف الرأي العام القطري، وقد تختلف –بل ولا بد أن تختلف– مواقف الرأي العام في الأقطار المكونة لكل من الرأيين العام العربي والإسلامي، وبالمثل قد يحدث نفس الاتفاق أو الاختلاف بين الرأي العام العربي والإسلامي، وذلك رغم التنوع والثراء الإثني والثقافي بين أجزاء العالم الإسلامي [83].

وبصفة عامة يمكن القول أن ثمة تياران كبيران يتقاسمان تكييف الساحة الفكرية لمسألة الرأي العام ومدى أهميته ودوره في التأثير على السياسات العامة، أولهما يرى أنه لا يوجد رأي عام عربي من الأساس، وينطلق هذا التيار من أنه لا يوجد رأي عام داخل الدول العربية، فهناك عزوف عام عن السياسة وخوف من إبداء الرأي أو الإعلان عنه حتى في أبسط المسائل الاجتماعية، نظراً لما يسمى

[82] صبحي عسيلة. **مرجع سابق**. ص 33.
[83] سناء الجبور. **مرجع سابق**. ص 232-233.

عقدة الخوف التاريخية لدى الشعوب في المنطقة من كل ما من شأنه أن يمس السلطة أو الشأن العام من قريب أو من بعيد، ناهيك عن أن ثمة قناعة مفادها أنه لا جدوى من التعبير عن الرأي وتحمل تكلفة هذا الإعلان عن الرأي طالما أنه لا يؤثر في توجهات صناع السياسات العامة.

أما الثاني وهو التيار المضاد للتيار السابق، فيرى أنه يوجد رأي عام داخل الدول العربية، وأن المشكلة هي في كيفية التعرف عليه. ومن ثم يرى أنصار هذا الاتجاه أنه يمكن ملاحظة أو التعرف على توجهات الرأي العام في دول المنطقة من خلال الأحاديث مع الناس في الشارع ومن خلال برامج التليفزيون وفضائياته، ومن خلال الاستطلاعات الالكترونية التي تجريها بعض المواقع على شبكة الانترنت، كبديل عن عدم توافر الاستطلاعات أو القياسات العلمية التي تساعد في معرفة توجهات الرأي العام بدقة. ومن الواضح أن هذا التيار يستند إلى حقيقة أنه لا يمكن تصور وجود مجتمع ما دون أن يكون هناك رأي عام بصرف النظر عن فاعليته، فالرأي العام موجود ولكنه كامن.

وفي الواقع فإن كلا التيارين يمثلان طرفي خط مستقيم، بينما ما يمكن تسميته الرأي العام يقع في نقطة ما على هذا الخط وربما بجواره، ففي بعض الأحيان تنشأ أحداث توحي بالاقتراب من التيار الأول، وفي أحيان أخرى تقع أحداث توحي بالاقتراب من التيار الثاني. وفي هذا الإطار لا بد من الإشارة إلى أهمية توجهات ورغبات من يتصدى لدراسة ظاهرة الرأي العام في دول المنطقة في تحديد ماهية وخطورة تلك الظاهرة. فالتيار الأول يميل معتقدوه دائماً إلى التهوين من أهمية الرأي العام ودوره في صنع السياسات العامة، والتيار الثاني يميل إلى تضخيم أهمية وخطورة الرأي العام. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك من يشير إلى خطورة التلاعب بالرأي العام والتمادي في عملية توجيهه، فيشير إلى إمكانية أن يصل الرأي العام إلى نقطة اللا عودة، وعندئذٍ يصبح من المتعذر السيطرة عليه، وأنه قد يسبب نوعاً من الأذى الشديد لحكوماته الوطنية أو لحلفائها الدوليين ثم لنفسه في النهاية.

إن القول بأن الرأي العام العربي قد اقترب كثيراً من نقطة اللا عودة هو قول يبتعد كثيراً عن الصواب، فلا يمكن تصور وجود نقطة لا عودة للرأي العام المتقلب بطبيعته، فهو "امرأة لعوب" بالفعل، وإلاّ لما حدثت تلك الانقلابات التي يشهدها الرأي العام في كافة الدول الديمقراطية نتيجة لحدث ما في هذا الاتجاه أو ذاك، ولو كان للرأي العام –عربياً أو غيره– نقطة لا عودة لما كان يمكن

القول أن ثمة أثراً لما تفعله الفضائيات من إعادة تشكيل للرأي العام العربي، فعملية تغيير وتوجيه الرأي العام عملية قائمة وممكنة وتمارسها كافة وسائل الإعلام في مختلف الدول [84].

الرأي العام الأمريكي

قد يكون مدعاة للغرابة مشاهدة مواطن غربي يُسأل في لقاء عام أو برنامج تلفزيوني عن موقع بلد آخر في آسيا أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية، أو عن اسم عاصمة ما، أو زعيم دولة، فيقدم إجابة تجعل أعين سامعه تلتصق بأعلى رأسه، إذ تتم الإجابة عن جهل مطبق بالجغرافيا، أو التاريخ، أو حتى الحاضر، ومما يزيد من الدهشة أن يصل حدود "التحجيم الثقافي" إلى مستوى انتقاء المعلومات ضمن نطاق الساحة التي يعيش فيها المواطن الغربي وإعادة صياغتها وتركيبها بشكل يؤدي إلى دفع الاهتمامات الشخصية نحو أهداف محددة لا تتسم في الغالب بطابع سياسي أو ذي صلة بالخارج [85].

حيث أن كبر حجم الولايات المتحدة وثراءها وتقدمها جعلها من أكثر دول العالم استقراراً، كما أن بعدها عن العالم القديم وضعف اعتمادها على الغير من النواحي الاقتصادية جعل شعبها من أقل شعوب الأرض ميلاً للتورط في مشاكل خارجية. لذلك تميزت تجربة الأمريكيين عن غالبية شعوب العالم الأخرى بالاستقرار السياسي والتقدم الاقتصادي وعدم تعرض القارة الأمريكية لغزو خارجي.

وفي ضوء تلك الحقائق أصبح الشعب الأمريكي قليل الاهتمام بأمور السياسة الخارجية. وفي الواقع انحصرت اهتمامات الرأي العام بقضايا العلاقات الدولية ضمن الأطر البسيطة. ونتيجة لذلك أصبح الرئيس يتمتع بقدر كبير من الحرية في مجال السياسة الخارجية، وبسبب خضوع السياسة الخارجية لصلاحيات الرئيس المباشرة من ناحية وخروجها عن الاهتمامات المباشرة للرأي العام من ناحية ثانية ضعف أثر ودور الأخير في صياغة وتوجيه تلك السياسة [86].

[84] صبحي عسيلة. **مرجع سابق**. ص 54-58.
[85] سناء الجبور. **مرجع سابق**. ص 277-278.
[86] محمد ربيع. **صنع السياسة الأمريكية والعرب**. (عمان: دار الكرمل للنشر، 1990)، ص 135.

والواقع أن معظم المواطنين في الولايات المتحدة الأمريكية لا يشاركون في النواحي السياسية، لأن أكثر من ثلث البالغين في الشعب كله لا يمارس حقوقه الانتخابية في انتخابات الرئاسة الحديثة. وتشير قوائم الاقتراع إلى أن مواطناً واحداً فقط من بين كل خمسة مواطنين يعرف القضايا العامة الكبرى في دولته (الولايات المتحدة الأمريكية)، ولديه معلومات كافية للتعبير عن رأي محدد [87].

[87] هشام محمود الأقداحي. **مرجع سابق**. ص 134-135.

الفصل الرابع

الكاريكاتير السياسي: تأثيره وحرية استخدامه

المبحث الأول: الصحافة والرأي العام

من الموضوعات التي أخذت مكانها الآن على الساحة هو تأثير الإعلام، وهل هذا التأثير سلبي أم إيجابي أم يجمع بين الاثنين. وتكمن صعوبة مناقشة هذا الموضوع لأن التأثير شيء غير ملموس، وهل يجب أن يشمل جميع الأفراد بطريقة واحدة، أم يختلف من مكان إلى آخر حسب الأيديولوجية التي يتبناها كل فرد. وهل يفترض أن يحدث التأثير للمجتمع ككل أم للطبقة المستفيدة من وسائل الإعلام فقط [88].

ويمكن أن نفكر في آثار وسائل الإعلام بعدة طرق، فهناك آثار فردية، وآثار مجتمعية، فعلى المستوى الفردي يمكن أن تؤثر وسائل الإعلام في زيادة عدوانية الأفراد ومعارفهم واتجاهاتهم وأنواع المنتجات التي يشترونها، وأسلوب استخدامهم للوقت. وعلى المستوى المجتمعي، فإن وسائل الإعلام يمكن أن تعيد رسم النظم السياسية والاقتصادية والثقافية.

[88] طه نجم. **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**. (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005)، ص 22.

وعند الأخذ في الاعتبار تأثير وسائل الإعلام، لا بد أن نميز بين الآثار قصيرة المدى، والآثار طويلة المدى. ويمكن بسهولة ملاحظة وقياس الآثار قصيرة المدى. أما الآثار طويلة المدى فلا يمكن ملاحظتها بسهولة، ومن الصعب أن نحددها بشكل مؤكد، ولكنها تؤثر على قيم المجتمع ومستوى الثقة في الحكومة، وطرق تنفيذ السياسات الحكومية [89].

وتؤدي الصحافة بشكل خاص خدمة عامة ومؤكدة. لكن يعتبر الدور السياسي من أهم وأوضح هذه الخدمات، فهي تحيط المواطنين علماً بالمشاكل القائمة، كما أنها تعرض عليهم الحلول التي تقترحها الحكومة والأحزاب والفئات الاجتماعية. ومن هنا يستطيع الأفراد اتخاذ مواقفهم السياسية وإبداء آرائهم [90].

لكن دور الصحافة ليس سهلاً وميسوراً، ذلك أن ما تقدمه ليس وصفة جاهزة لكي يتبناها الأفراد دون مناقشة، فقد تخضع ما تقدمه لمناقشات وعمليات تدقيق، بل ونقد وإعادة تقييم، بطريقة قد تؤدي إلى تبني وجهة نظر مخالفة لما تنادي به الصحيفة أو مجموعة من الصحف، ولعل أبرز مثال على ذلك ما حصل في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 2004 حيث تبنت صحف رئيسية مثل النيويورك تايمز والواشنطن بوست موقفاً معارضاً لإعادة انتخاب الرئيس جورج بوش الابن، بينما جاءت نتيجة الانتخابات تحمل اتجاهات مخالفة تماماً، حيث حظي الرئيس بوش بدرجة عالية من تأييد الأصوات الشعبية بلغ حوالي 60 مليون صوت، أي أن غالبية الهيئة الناخبة لم تأخذ لما نشرته تلك الصحف من وجهات نظر مؤيدة للمرشح الآخر جون كيري وقتها، ومناهضة للرئيس جورج بوش [91].

وعلى الرغم من ذلك، ما زالت الصحافة تحتل المقام الأول بين وسائل الإعلام كلها في التأثير في الرأي الإعلام، وذلك لأسباب عديدة منها، قدرتها في الخوض في القضايا السياسية والاجتماعية ومناقشتها بإسهاب. حيث تقسّم محتويات الصحيفة بالنسبة لمدى تأثيرها في الرأي العام إلى ثلاثة أقسام، نذكر منها أهمها وهو القسم الأول الذي له علاقة مباشرة بتوجيه الرأي العام، كالافتتاحية

[89] S. L. Becker. **Discovering Mass Communication**. (Foresman & Company, 1987), P 454-457

[90] طه نجم. **مرجع سابق**. ص 141.

[91] عبد الغفار القصبي. **الاتصال السياسي والتحول الديمقراطي**. (القاهرة: مكتبة الآداب، 2007)، ص 41.

والكاريكاتير والأعمدة وبريد القراء والمقالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنقد الأدبي والفني والإعلانات، حيث يتسم بالتحيز المتعمد الذي يرمي للتأثير في الرأي العام [92].

وهنا تظهر أهمية الصحافة في تشكيل الرأي العام الناضج، والواعي لما يدور حوله لكي لا يستغل سياسياً وما يترتب على هذا الاستغلال من تدهور في المجالات الأخرى مثل المجال الاقتصادي والاجتماعي، لأن الوعي الإعلامي عند أفراد الرأي العام في بلد ما، خاصة في البلاد النامية مثل بلادنا العربية يساعد مجتمعاتها في تطورها وانتقالها من مجتمعات تقليدية متخلفة إلى مجتمعات ناضجة تواكب ركب الحضارة [93].

المبحث الثاني: الصحافة والكاريكاتير

لقد ظلت العلاقة بين الصحافة والكاريكاتير لزمنٍ طويل مبهمة وغير معروفة، والسبب في عدم ارتباط الكاريكاتير بالصحافة منذ بداية وجود الصحافة هو عدم استخدام تقنية الطباعة الحجرية في النظام المطبعي الذي كان سائداً لوقت طويل، ولأن الصحافة في بداية ظهورها لم تكن وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري كما هي الآن، حيث كانت عبارة عن نشرات دورية توزع على الطرق التجارية. وفيما بعد كانت الصحف عبارة عن نشرات رسمية تتضمن القرارات والقوانين الرسمية التي اتخذتها الدولة، ثم ظهرت الصحف الأدبية والسياسية. وكان ظهور هذا النوع من الصحف مرافقاً تقريباً لبدء استخدام تقنية الطباعة الحجرية، وهكذا أخذت الصحف والمجلات تنشر رسوماً محددة كانت في معظمها تصور أعمالاً أدبية منشورة فيها. إلاّ أن الكاريكاتير عرف انتشاره الأول في الصحافة عبر الصحافة الساخرة التي كانت منبراً لنشاط الكاريكاتير، ونافذة لرسامي الكاريكاتير على العالم.

وفي الوقت الحاضر لا يمكن أن نتصور كاريكاتيراً بلا صحافة أو صحافة بلا كاريكاتير، وحتى تلك الصحف المتخصصة بمواضيع لا علاقة لها بالفن والسخرية مثل الصحف الاقتصادية أصبحت تنشر رسوماً كاريكاتيرية، وبعض منها ينشر هذه الرسوم مع المقالات الافتتاحية أو مكانها أحياناً [94].

---

[92] سناء الجبور. **مرجع سابق**. ص 103-104.
[93] إجلال خليفة. **الصحافة**. (القاهرة: دار الطباعة الحديثة، 1976)، ص 14.
[94] ممدوح حماده. **فن الكاريكاتير: من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة**. (دمشق: دار عشتروت للطباعة والنشر، 1999)، ص 195-199.

المبحث الثالث: الكاريكاتير السياسي والرأي العام

الكاريكاتير هو شكل من أشكال العمل الصحافي المحض، ولكن بطريقة مغايرة لما هو مألوف مقارنة بالنص الكتابي أو المقال الصحافي التقليدي، حتى وإن جّرد من مضمونة الفني، فالكاريكاتير عبارة عن قراءة تأملية للحدث بقالب أكثر وضوحاً وأكثر مبالغة وأكثر مباشرة وأقل تكلفة للعقل البشري المتلقي، لذلك يكون وقعه على نفسية القارئ أشد، والعمل الصحافي هو قراءة حقيقية للحدث بقالب أكثر موضوعية ولكن بضبابية وتكون كلفته على العقل البشري أكثر من النص الكاريكاتيري. لأن العملية السردية للنص الكتابي تحث العقل البشري بشكل إرادي على توالد وتتابع الصور النصية بشكل متواصل حتى تكتمل الصورة لدى القارئ، فكلاهما متمم للآخر من حيث الضخ نحو الوعي الجماعي لما هو حاصل من حدث [95].

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا والذي ستحاول الصفحات اللاحقة الإجابة عليه هو، هل تخلق المادة الكاريكاتيرية أثراً صحفياً على الصعيد الخبري؟ بمعنى هل ردود الأفعال التي ينتجها الكاريكاتير من تناوله لقضية ما قادرة على تحريك الحدث وافتعاله؟، ويلي هذا السؤال عدة تساؤلات فرعية تبحث فيما إذا كان الكاريكاتير قادر على تحقيق ما لم تستطع تحقيقه الكلمة المكتوبة بالنسبة للأحداث الهامة التي يمر بها أي مجتمع كان، وبالأخص على الصعيد السياسي.

يقوم الكاريكاتير بالوظيفة الخبرية، كالمادة الصحفية، وأيضاً بالوظيفة الجمالية والاستهلاكية والتربوية التي تعالج ظاهرة سلبية مثل الفساد، أو الرشوة، أو معالجة قضية اجتماعية بأسلوب ساخر، ثم يقوم بالوظيفة المعلوماتية والتحريضية والنضالية والسياسية. إن الرسم الكاريكاتيري رسالة وطنية وإنسانية وجمالية من الفنان إلى القارئ باتجاه مجتمع بعينه من خلال سياق مشترك بينهما قائم على بنية الواقع الذي يعيش فيه الفنان والقارئ معاً لإظهار عيوب المجتمع في صورة ساخرة وممتعة، لمجرد الإصلاح، وليس لمجرد التجريح. فرسام الكاريكاتير لا يقول أو يحكي بل يرسم، ولذلك عليه أن

[95] بسام الطعان. **الكاريكاتير هو فن الابتسامة المرة ليوصلك إلى الأشد حلاوة**. (لندن: جريدة القدس العربي، العدد 6088، 31 كانون الأول، 2008)، ص 12.

يمتلك عقلية الجزار ومبضع الجراح، بمعنى أن يكون جريئاً في طرحه وغير مباشر، وماهراً في معالجة المواضيع [96].

والكاريكاتير في الصحف مادة أساسية لأنه فن سلس وراق يصل إلى عقول وقلوب الناس يحكي معاناتهم ويصحح أخطاء عديدة بالمجتمع، فالكاريكاتير يصل بسرعة إلى عقل المتلقي ويترجم بلوحة واحدة ما قد يكتب في مقالة من ألف كلمة [97]. حيث إن للكاريكاتير السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية التأثير الأقوى بالمقارنة مع المقالات المكتوبة، حتى أن رسم كاريكاتيري انتقادي واحد كفيل بإحداث العديد من المشكلات للكثير من الرؤساء، فبإمكان رسام الكاريكاتير استهداف عيوب سياسات الحكومة ورفع مستوى الوعي الجماهيري بكفاءة أعلى من أدوات التوعية الأخرى مثل السينما والفيديو المستخدمة الآن [98].

وفي هذا الصدد يعبّر فنان الكاريكاتير الفلسطيني خليل أبو عرفة عن تصوره للرسالة التي يحاول رسام الكاريكاتير إيصالها إلى الجمهور بقوله أن الرسم الكاريكاتيري عبارة عن وسيلة يعبر بها الرسام عن وجهة نظره للجمهور بطريقة مميزة وأسلوب يعتمد استخدام الرموز وأحياناً التعليق المشحون والمكثّف الذي يجد طريقه إلى وجدان وعقل وقلب المواطن العادي، ويختلف عن بقية الوسائل الإعلامية الأخرى بأسلوبه المميز وطريقة إيصاله للرسالة، ففنان الكاريكاتير يحاول الاقتراب من مزاج الجمهور مستخدماً البساطة ومتطرقاً إلى المواضيع التي تهم أكبر عدد ممكن من الجمهور عن طريق الاحتكاك بهم والاطلاع على الأحداث اليومية والشعور بما يحس به المواطن العادي [99].

ومهمّة الكاريكاتير عند الفنان الفلسطيني الراحل ناجي العلي هي: "تعرية الحياة بكل ما تعني الكلمة، فالكاريكاتير ينشر الحياة دائماً على الحبال وفي الهواء الطلق، وفي الشوارع العامة، إنه يقبض على الحياة أينما وجدها لينقلها إلى أسطح الدنيا حيث لا مجال لترميم فجواتها ولا مجال لتستير عورتها. مهمة الكاريكاتير عندي تبشيرية بالأمل، بالثورة، لولادة إنسان جديد. الصورة عندي هي عناصر الكادحين والمقهورين والمطحونين، لأنهم هم الذين يدفعون كل شيء ثمناً لحياتهم، غلاء

[96] عبد الناصر حسو. **الكاريكاتير الضحك المرّ**. (سوريا: موقع الملحق الثقافي لجريدة الثورة السورية، 2 تشرين الأول، 2007).
[97] علي بن شقير. **المرأة تحمل أفكاراً تثري فن الكاريكاتير أكثر من الرجل**. (السعودية: جريدة اليوم الإلكتروني، 30 أيلول، 2006).
[98] طلال الناير. **حوار مع الكاريكاتيرست الأمريكي ديفيد بليدنغر**. (موقع بيت الكرتون، 18 تشرين الثاني، 2008).
[99] هبة لاما. **الكاريكاتير: محاولة لتقديم الواقع بصورة ساخرة**. (فلسطين: شبكة فلسطين الإخبارية، 5 كانون الأول، 2007).

الأسعار، الذود عن الوطن، تحمُّل أخطاء ذوي السلطة، كلُّ شيءً لديهم صعبٌ الحصول عليه، كل شيء قاسٍ يحاصرهم ويقهرهم، لكنهم يناضلون من أجل حياتهم ويموتون في ريعان الشباب، في قبور بلا أكفان، هم دائماً في موقع دفاع مستمر لكي تستمر بهم الحياة، أنا في الخندق معهم أراقبهم وأحسُّ نبضهم ودماءهم في عروقهم، ليس لي سلطة أن أوقف نزفهم، أو أحمل عنهم ثقل همومهم لكن سلاحي هو التعبير عنهم بالكاريكاتير" [100].

للكاريكاتير السياسي في عالمنا العربي خصوصية، تجعله يتميز بها عن أي مكان في العالم، هذه الخصوصية تأتي من طبيعة الأحداث التي تمر بها المنطقة وتسارعها، فكل ما يحدث في أي بلد عربي في أي مجال كان، اقتصادي أم اجتماعي، له علاقة بالسياسة بشكل أو بآخر، فالأنظمة في الدول العربية أنظمة شمولية استبدادية، تتحكم في جميع مفاصل الدولة ومؤسساتها، لذا يتميز الكاريكاتير العربي بزخم كبير فيما يخص الجانب أو الشق السياسي. على عكس الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يتمتع المواطنون لديها بالحرية، الحرية في الاختيار والاعتقاد والتعبير، لا يوجد لديها كم المشاكل والقضايا الموجودة في العالم العربي، مثل القضية الفلسطينية وحرب العراق وأزمة الديمقراطية والحريات والتبعية والتخلف والأمية وأخيراً الثورات العربية. لذا يكون للكاريكاتير في العالم العربي التأثير القوي على الرأي العام لأنه يعبر عما لا يستطيع المواطن العادي التعبير عنه بحرية وجرأة، فهو يزدهر عندما تكون هناك تناقضات واضحة على المستوى الاجتماعي والسياسي، هو الوجه الآخر للمأساة، وهو وليد هذه التناقضات الكبيرة في المجتمع.

المبحث الرابع: الكاريكاتير ونطاق حرية التعبير

تعتبر حرية الرأي والتعبير المظهر الأساسي والمرتكز الأول للحريات الفكرية. وأهمية هذه الحرية، ليس لأنها تعني الحرية لكل شخص بأن يفكر ويقول ما يعتقده صحيحاً فقط، بل كونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية الإنسان وكرامته، والتي تجعله يشعر باستقلاله الذاتي وأن له كياناً [101]. وقد يكون التعبير عن الرأي بالكلمة أو بالكاريكاتير. وهنا يأتي الحديث عن حرية الصحافة –باعتبار رسام

[100] فاروق وادي. **ناجي العلي: الهدية لم تصل بعد**. (عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1997)، ص 11-12.
[101] عيسى بيرم. **الحريات العامة وحقوق الإنسان: بين النص والواقع**. (بيروت: دار المنهل اللبناني، 1998)، ص 312.

الكاريكاتير صحفي بامتياز– التي تعد الصورة الأهم من صور حرية الرأي والتعبير، فهي مرآة المجتمع التي تعكس صورته أمام أفراده [102].

يشكل المناخ السياسي الركيزة الأساسية لنمو الحرية وتطورها وبالتالي فالمسألة تتعلق بنوع النظام السائد في أي دولة، لأن النظام السياسي هو الذي يضع القواعد الدستورية والقانونية المختلفة. فالديمقراطية هي أسلوب لممارسة الحكم وموضوعها يتداخل مع موضوع الحرية وجوانبها المختلفة، فهي بالتالي أسلوب ممارسة الحرية. من هنا نستطيع القول بأنه ليس من حرية إلاّ في مناخ ديمقراطي ولا ديمقراطية إلاّ بعد حرية. فالمواطن لا يكون إنسان حر إلاّ في دولة حرة، والدولة في مجتمعاتنا العربية مرهونة الإرادة تتداخل فيها الاعتبارات الإقليمية والدولية، ناهيك عن تدخل السلطة السياسية في مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، والمعروف أن تدخل الدولة يعتبر طبيعياً عندما يكون بهدف الحد من الأزمات وليس عاملاً مساعداً في خلق أزمات جديدة خدمة لمصالح أصحاب النفوذ ومنفعة أشخاص [103].

مساحة الحرية تختلف من دولة عربية إلى أخرى، وبرغم ذلك فهناك أسماء عربية استطاعت أن تفرض أعمالها بقوة عربياً وعالمياً، وظهر في العقد الأخير دور الانترنت كمتنفّس لرسامي الكاريكاتير العرب، لما يوفره من إمكانيات للهروب من مقص الرقيب، والتعبير بحرية أكبر قد لا تتوفر في الصحافة الورقية حيث أغلب الأعمال الجريئة تتعرض للحذف أو البتر، إلاّ أن ذلك لم يمنع مقص الرقيب في بعض الدول العربية من الوصول إلى رسام الكاريكاتير، بعد أن أُقرّت تعديلات على قوانين المطبوعات تخول لها تجريم الكاريكاتير على الانترنت، باعتباره جريمة الكترونية يعاقب عليها القانون [104].

ويقيّم فنان الكاريكاتير الفلسطيني محمد سباعنة في حوار له مع جريدة العرب القطرية مساحة الحرية الممنوحة لرسام الكاريكاتير في فلسطين بقوله: "في فلسطين لدينا رقابة {فل أوبشن}، لدينا رقابة

[102] خالد مصطفى فهمي. **حرية الرأي والتعبير**. (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2008)، ص 21-56.
[103] عيسى بيرم. **مرجع سابق**. ص 16-20.
[104] عادل نجدي. **حوار مع رسام الكاريكاتير المغربي عبد الله الدرقاوي**. (المغرب: موقع جريدة الرأي، 14 آذار، 2008).

إسرائيلية، ورقابة السلطة الفلسطينية التي أؤكد عدم صرامتها أو حدتها، وكذلك رقابة الحزب وهي الأصعب، فهي تُفرض عليك من خلال جمهوره إلى جانب منابره الإعلامية" [105].

في الصحافة العربية يعتبر رسامو الكاريكاتير من أشد الناس تجريباً لمعنى الحرية، وهو معنى قد لا يتم تلمس عمقه وخطورته إلاّ بالنظر إلى ردود الأفعال التي تنجم اجتماعياً وثقافياً عن هذا الرسم أو ذاك، وعلى وجه الخصوص في المنطقة المحجوزة سلفاً لصالح السياسي بمفهومه الضيّق [106]. رسامو الكاريكاتير ليسوا وحدهم الذي يعانون من مقص الرقيب أو ضيق الحرية، بل جميع الصحفيين والكتاب والمثقفين والفنانين بشتى أفكارهم وإنتاجهم الأدبي والفني والفكري، فالحرية وقود للمبدعين، لذلك نرى عرب المهجر ينتجون أعمالاً فنية أدبية تبهر المتلقي إلى حد الذهول [107].

يعتبر الكاريكاتير في الولايات المتحدة الأمريكية بالونة الاختبار للتعديل الأول للدستور الأمريكي ، فالكاريكاتير يرفع من الحدود المفروضة ويعطي مساحة ونوعية أكبر للتعبير. فرسام الكاريكاتير يعبّر عن المنطق والعقل في تصوير الواقع والأحداث. ونستطيع القول بأنه كلما بقي الكاريكاتير بهذا الحجم من التأثير وحرية التعبير، فالأمريكيين على يقين أنه سيبقى لديه الحق والامتياز للتعبير عن الآراء المثيرة للجدل، بالطريقة التي يراها رسام الكاريكاتير [108].

---

[105] **رسام الكاريكاتير الفلسطيني سباعنة: يجب على الكاريكاتير أن يحمل قنبلة تتسلل لنبض المتلقي**. (قطر: جريدة العرب، 7 آذار، 2008).

[106] حكيم عنكر. **ثقافة الكاريكاتير**. (الإمارات العربية المتحدة: جريدة الخليج، 28 كانون ثاني، 2007).

[107] **الخير الله: السؤال عن ضيق حرية رسامي الكاريكاتير يحتاج إجابة بحجم أمتنا**. (السعودية: جريدة الوطن، 26 تموز، 2007).

[108] D. Marlette. "**Freedom of Speech and the Editorial Cartoon**". (Nieman Reports: Harvard university, VoL 58, No 4, winter 2004), P 23.

الفصل الخامس

الربيع العربي

الثورة التونسية

في أواخر سنة 2010 ومطلع 2011 اندلعت موجة عارمة من الثورات والاحتجاجات في مُختلف أنحاء الوطن العربي، بدأت بالثورة التونسية التي أطلقت وتيرة الشرارة في كثير من الأقطار العربية وعرفت تلك الفترة بربيع الثورات العربية، والرسمان التاليان للفنان عماد حجاج يعبّران عن السبب في بداية الاحتجاجات في تونس في أواخر عام 2010، فقد أقدم المواطن التونسي محمد البوعزيزي في 17 كانون الأول من عام 2010 على إضرام النار في نفسه أما م مقر ولاية سيدي بوزيد في تونس احتجاجاً على مصادرة السلطات البلدية في مدينة سيدي بوزيد لعربة كان يبيع عليها الخضار والفواكه لكسب رزقه، وللتنديد برفض سلطات المحافظة قبول شكوى أراد تقديمها في حق الشرطية "فادية حمدي" التي صفعته أمام الملأ وقالت له: ارحل، وهي الكلمة التي أصبحت فيما بعد شعار الثورة للإطاحة بالرئيس التونسي. أدى ذلك لانتفاضة شعبية وثورة دامت قرابة الشهر أطاحت بالرئيس زين العابدين بن علي،

أما محمد البوعزيزي فقد توفي بعد 18 يوماً من إشعاله النار في جسده، وأقيم للبوعزيزي تمثال تذكاري تخليداً له في العاصمة الفرنسية باريس[109].

(2011/01/17)

من أسباب هذه الاحتجاجات المفاجئة انتشار الفساد والركود الاقتصاديّ وسوء الأحوال المَعيشية، إضافة إلى التضييق السياسيّ وسوء الأوضاع عموماً في البلاد العربية ذات الحكم الجمهوري الديكتاتوري.

(2011/01/03)

أجبرت هذه الانتفاضة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي على التنحي عن السلطة بعد حكم دام 23 سنة، وقام بالهرب من البلاد خلسة إلى السعودية في 14 كانون الثاني عام 2011.

[109] موقع ويكيبيديا. **محمد البوعزيزي**.

والرسم أدناه للرسام الأمريكي Jeff Danziger يظهر محاولة المسؤولين السعوديين للتخفيف عن الرئيس المخلوع الذي ارتسمت على محياه علامات الهزيمة والاستكانة[110].

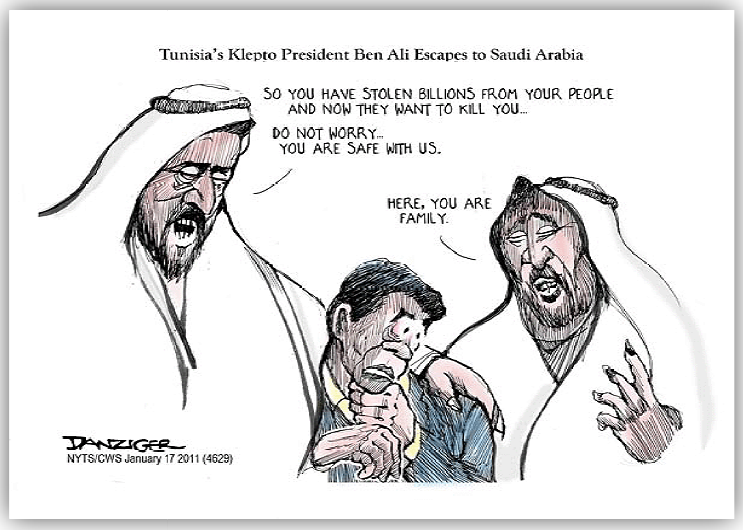

(2011/01/17)

انتشرت هذه الاحتجاجات بسرعة كبيرة في أغلب البلدان العربية، وقد تضمنت نشوب معارك بين قوات الأمن والمُتظاهرين ووصلت في بعض الأحيان إلى وقوع قتلى من المواطنين ورجال الأمن. وكان للثورة التونسية الأثر الكبير في سقوط جدار الخوف لدى المواطن العربي تجاه الأنظمة الحاكمة. فرسم الفنان حجاج يظهر مواطن وهو يقوم بتحطيم جدار أطلق عليه "جدار برلين العربي" في إشارة إما إلى سقوط الأنظمة العربية أو إلى زوال حاجز الخوف لدى المواطن العربي وعدم اكتراثه بآلة القمع الأمنية التابعة للأنظمة المستبدة الحاكمة.

(2011/02/02)

[110] ويكيبيديا. **محمد البوعزيزي**.

تميزت هذه الثورات بظهور هتاف عربيّ أصبح شهيرًا في كل الدول العربية وهو: "الشعب يريد إسقاط النظام" [111].

الثورة المصرية

ثورة 25 يناير أو يوم الغضب، هي سلسلة من المظاهرات في مختلف محافظات مصر بدأت في يوم 25 كانون الثاني 2011، بالتزامن مع عيد الشرطة، قامت هذه المظاهرات للتنديد بقمع الشرطة، واستمرار العمل بقانون الطوارئ، وأزمة المساكن وارتفاع أسعار المواد الغذائية والفساد وسوء الظروف المعيشية، وللمطالبة برفع الحد الأدنى من الأجور الأساسية، ولم يكن لدى المتظاهرين النية في إسقاط حسني مبارك فقد كانت المطالب تنحصر بحل المشاكل السابقة لكن سوء تعامل مبارك مع الأزمة هو ما جعل المتظاهرين يرفعون من سقف مطالبهم برحيل مبارك ونظامه[112].

(2011/02/01)

كان لنجاح الثورة التونسية كبير الأثر في تجرأ الشعب المصري على التظاهر والمطالبة برحيل نظام حسني مبارك، فها هو الرسام Danziger يصوّر هذا الواقع من خلال الكاريكاتير، فالشباب يرشقون مبارك بزجاجات حارقة ويقولون له بأنها تحية له من ثورة تونس.

[111] سياسة. **ربيع الثورات العربية**. (موقع أصداء المغرب، 2011).
[112] **الثورة المصرية 2011**. موقع المعرفة.

(2011/01/27)

حاول مبارك إخماد لهيب الاحتجاجات بالقمع والتهديد بالفوضى تارة، وباتخاذ قرارات وخطوات تساعد على تهدئة الوضع تارةً أخرى، ومن ضمنها تعيين عمر سليمان كنائب له، بعد اعتراض لسنوات من قبل المصريين على عدم قيامه بتعيين نائب له كأي رئيس دولة في العالم لكن للأسف معظم القرارات التي اتخذها مبارك كانت متأخرة جداً عن الأحداث. فقيام مبارك بتعيين سليمان كنائب له لقي موجة غضب ورفض عارمة في الشارع المصري فهو من وجهة نظرهم أحد رجالات مبارك. ولعل الرسم التالي أصدق تعبير على ذلك.

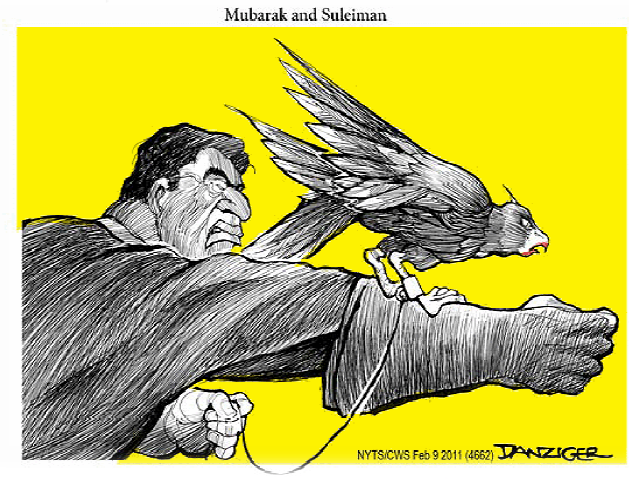

(2011/02/09)

كان العنف هو السمة السائدة في تعامل نظام مبارك الاحتجاجات التي اجتاحت معظم المدن المصرية، ففي الرسم أدناه للفنان عماد يظهر تمثال الشهيد عبد المنعم رياض وهو يضع يده على وجهه من شدة الصدمة على الاعتداء الهمجي لمؤيدي مبارك على المتظاهرين في ميدان التحرير.

(2011/02/04)

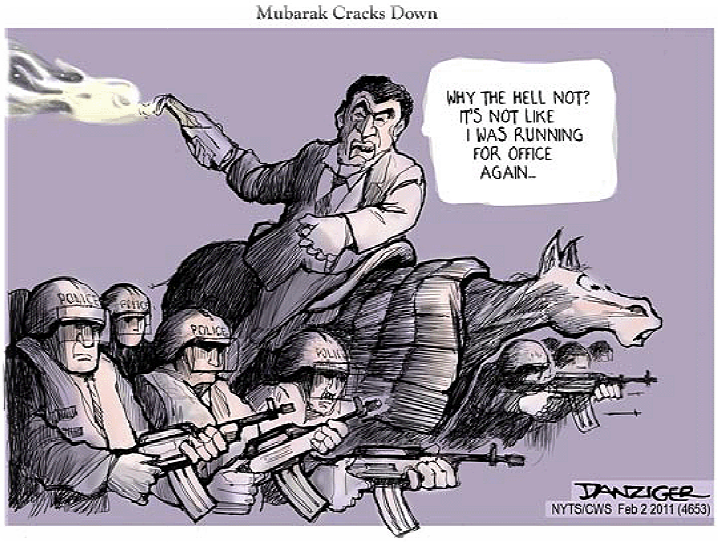

(2011/02/02)

سلّطت الثورة المصرية الضوء على دور وسائل التكنولوجيا الحديثة في إنجاح الثورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيسبوك، ولم ينسى الرسام عماد حجاج أن يشير إليها في إحدى رسوماته إيماناً منه بأهميتها في تعجيل حسم الثورة لصالح الشعب المصري.

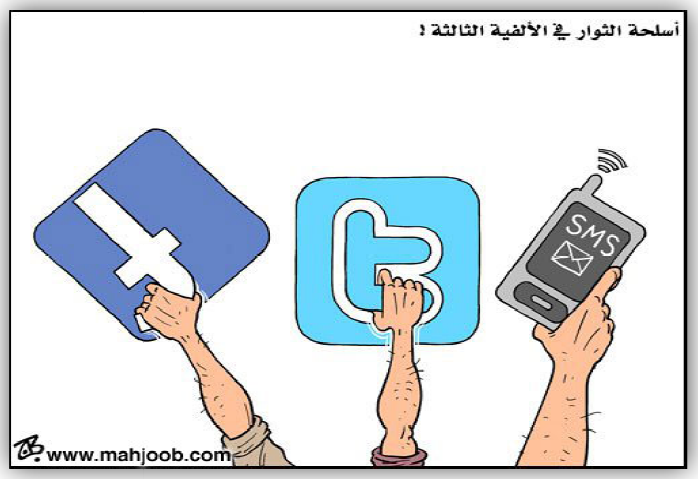

(2011/01/26)

مبارك .... بين البقاء والرحيل

تعرض الصفحات التالية مجموعة من الصور للرئيس المصري السابق حسني مبارك. ففي الرسم الأول والثاني للرسام Danziger يظهر مبارك في محاولة يائسة للبقاء في الحكم، ففي الرسم الأول يصوّر مبارك وهو يتشبّث بإحدى الأهرامات محاولاً التماسك في وجه الرياح العاتية بعد نجاح الشعب المصري في إسقاط كل مقومات نظامه فهو الأخير الصامد في وجه الريح.

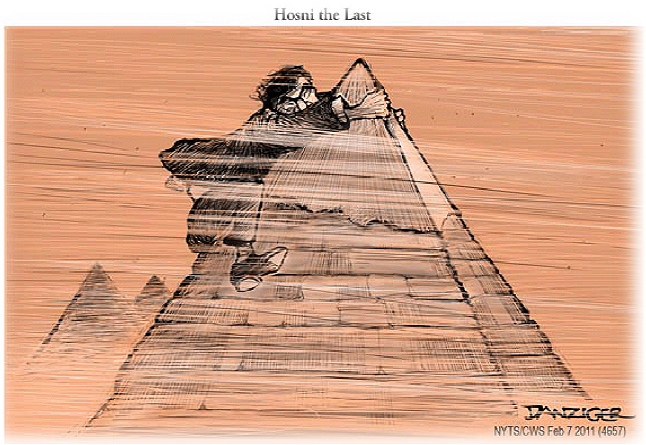

(2011/02/07)

Mubarak Vows to Remain in Power

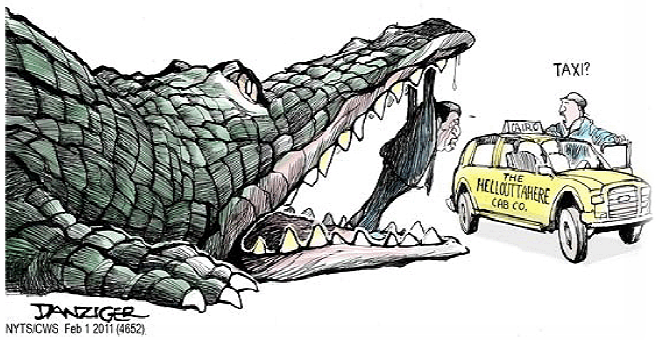

(2011/02/01)

(2011/02/03)

يبين الرسم أعلاه للرسام حجاج بأن الحديث عن بقاء مبارك هو محض خيال، فمبارك يظهر في الرسم كمن يجلس على كرسي، لكن ليس هناك كرسي فهو وهم لأن إرادة الشعب المصري في التغيير سحب الكرسي من تحت مبارك وأبقته بلا شيء.

(2011/01/31)

في اليوم الحادي عشر من شهر شباط من عام 2011، أعلن عمر سليمان بيان الرئاسة والذي جاء فيه تنحّي الرئيس المصري حسني مبارك عن منصبه وتسليم إدارة شؤون البلاد للمجلس الأعلى للقوات المسلّحة المصرية، منهياً بذلك حكماً دام ثلاثين سنة، وسط فرحة عارمة ملأت الشارع المصري عقب الإعلان.

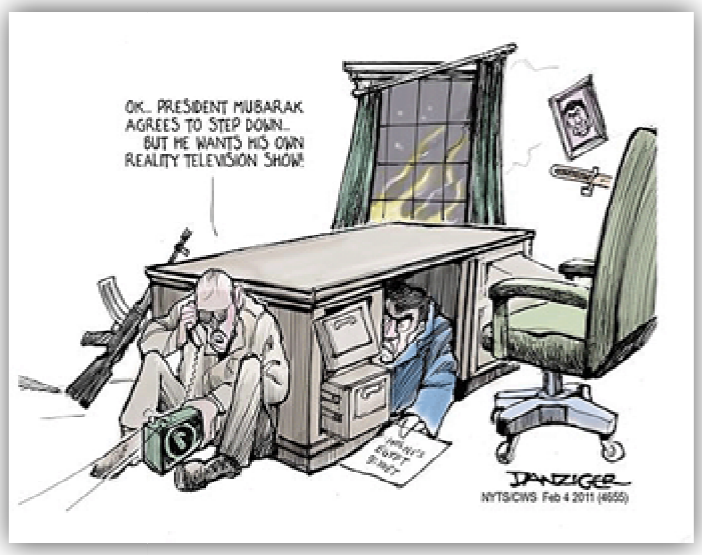

(2011/02/04)

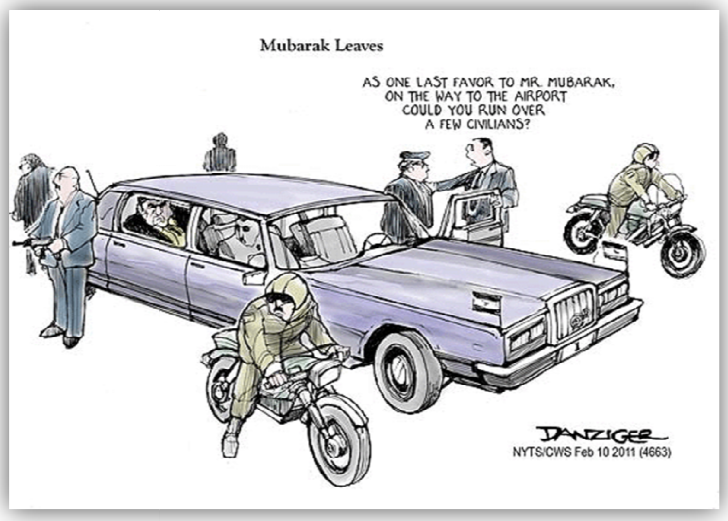

(2011/02/10)

(2011/02/12)

(2011/02/13)

الدروس المستفادة من الربيع العربي

الدرس الأول المستفاد من أحداث الربيع العربي هي لعبة الرأي العام، فمن الواضح جداً أن تقييماً لتوقعات واستطلاعات الرأي العام لم تتنبأ بالحالة الشعبية التي كانت كامنة في دواخل الشعوب العربية التي أفرزت تغيرات جوهرية في تلك المجتمعات.. ولم تحاول الأنظمة العربية في تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا وغيرها من الدول، أن تقرأ جيداً نبض الشارع بما يكفي لمعرفة حالة الفوران التي كان تغلي في دواخل مواطني تلك الدول. والأسوأ طبعاً هو أنه في حال قرأت وفهمت وأدركت تطلعات الناس وهمومهم وبشكل جيد فلن تتخذ أي خطوات عملية على أرض الواقع. فالرأي العام هو من أهم الميكانزمات المجسدة لطبيعة العلاقة بين النظام السياسي والمواطنين، وهو الأداة الأساسية التي بموجبها تتعرف الحكومات على هموم الناس وشؤونهم واحتياجاتهم وتطلعاتهم نحو أداء حكوماتهم في الشأن العام. ولكن فيما يبدو أنَّ العلاقة بين السلطة والمواطن في كثير من الأنظمة في الدول النامية وفي مقدمتها الدول العربية هي علاقة افتراضية أكثر من كونها علاقة مبنية على أساس متين من الفهم والاستيعاب وإدراك المسئوليات التاريخية التي ينبغي أن تتحملها الحكومات.

(2011/01/21)

وما ينبغي إدراكه من دروس قيمة ومهمة في تطورات أحداث الثورات العربية أنَّه ينبغي أن يعطى الرأي العام أهميته المحورية في استيعاب هموم وقضايا الناس، هذا كمرحلة أولى لمعرفة الاتجاهات في إجمالها، ولكن الأهم من ذلك هو القراءة الداخلية للرأي العام غير المعلن، والذي تشير

إليه دوامة الصمت كمجموع الآراء الشخصية للمواطنين تجاه موضوع معين، وعادة وليس بالضرورة أن يكون منطبقاً مع الاتجاهات والآراء المعلنة أمام الناس وفي وسائل الإعلام. وينبغي أن تهتم الحكومات بشكل أكبر لما يُعرف بآراء الأغلبية الصامتة التي تصمت على شيء داخلها، ولا ترغب في مرحلة معينة من إظهار هذه الآراء خارجياً أمام الناس وأمام الرأي العام. هذه الأغلبية هي التي تحركت بقوة إبان تطور أحداث الثورات العربية عندما سنحت الفرصة لها لإظهار تلك الآراء وما تبعها من تصرفات وسلوكيات تنم عن عدائية واضحة لأنظمة بلدانها [113].

(2011/01/31)

الثورات العربية والحركات الإسلامية

لا شك في أن إحدى أبرز نتائج الثورات العربية الراهنة هي عودة الجدل بشأن الحركات الإسلامية، سواء فيما يتعلق بدورها في إشعال هذه الثورات، أو مستقبلها السياسي والحركي، خاصة في ظل حالة الإقصاء والتهميش التي تعرضت لها هذه الحركات طيلة العقود الخمسة الماضية.

[113] علي القرني. **الدرس الأول المستفاد من الثورات العربية**. (موقع صحيفة الجزيرة، 3 أيلول، 2011).

وبوجه عام، يمكن القول أن الحركات الإسلامية، وإن كانت من أهم الأطراف المستفيدة من سقوط الأنظمة الأوتوقراطية العربية، فإن ثمة استحقاقات وتحديات عديدة سوف تواجهها هذه الحركات، إذا ما قدر لهذه البلدان أن تشهد تحولاً ديمقراطياً راسخاً خلال السنوات القليلة المقبلة.

إن الحركات الإسلامية لم يكن لها دور بارز في إشعال الثورات العربية وذلك لأسباب كثيرة، بعضها يتعلق بطريقة ومنهج هذه الحركات، والذي يتجنب الصدام المباشر مع الأنظمة السلطوية، خاصة في ظل تجاربها السابقة، وبعضها يتعلق بطبيعة اللحظة التاريخية والمزاج الثوري في العالم العربية الذي يتجاوز الأطروحات والقوى الأيديولوجية الكلاسيكية [114].

والسؤال الذي تطرحه الثورات العربية يتعلق بدور الولايات المتحدة وشركائها الأوروبيين في تثبيت الوضع العربي الراهن المتعفّن الذي يبدو أنه ينهار أمام أعيننا، إذ أن الولايات المتحدة كثيراً ما كانت ممزقة في سياستها الشرق الأوسطية بين مبادئها، بما فيها دعم الديمقراطية، ومصالحها، بما فيها دعم الدكتاتوريين الذين يفعلون ما يُطلب منهم. ويكفي أن ندقّق قليلاً لنرى أن الدافع الأخير يكاد يكون مهيمناً على سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

واليوم، وبينما يبث الإعلام الأمريكي أخبار الشباب العرب الموهوبين وهم يُسقطون الديكتاتوريات ويدعون إلى الديمقراطية، وبينما الجمهور يراقب، فإن واشنطن تستجيب بدعم فاتر للتحول الديمقراطي، وبدعوة أصحابها من الحكام العرب إلى الإحجام عن قمع شعوبهم.

إن اللحظة الجديدة في الشرق الأوسط لا بد من أن تجعل المقاربة القديمة المعتادة في كل من واشنطن وتل أبيب أصعب كثيراً. وحتى لو بقيت الديكتاتوريات والملكيات المطلقة في السلطة، فإنها باتت تحت الأنظار ولم يعد في وسعها تجاهل شعوبها كما اعتادت أن تفعل حين ترسم سياساتها. فالسياسات غير الشعبية التي تتّبعها معظم الحكومات العربية لم يعد ممكناً تحمّلها.

[114] خليل العناني. **"التيارات الإسلامية في عصر الثورات العربية"**. (القاهرة: موقع مجلة السياسة الدولية، 2011).

إن معاهدتي السلام المصرية والأردنية مع إسرائيل ربما تستمران، حتى لو كان هناك تحولات ديمقراطية فعلية في العالم العربي برمّته، غير أن أحداً في واشنطن لا يمكنه أن يعتمد على الانصياع والخضوع لإسرائيل والولايات المتحدة، واللذين كانا يشكّلان سمة أساسية للنظام العربي الراكد الذي يجري تحدّيه في شوارع المنطقة بأسرها [115].

حاولت الأنظمة العربية على مدى عقود من الزمن تصوير الحركات الإسلامية للغرب على أنها حركات أصولية متشدّدة، وصوّرت هذه الأنظمة نفسها على أنها الحامي الفعلي لمنع امتداد ونشر الفكر الأصولي في مجتمعاتها، لكن هذا غير صحيح على الإطلاق، صحيح أن هناك حركات أصولية متشدّدة، لكن الأغلبية المطلقة من الحركات الإسلامية في العالم العربي تتصف بالاعتدال، أو بمعنى آخر ملتزمة بالعمل المدني وبعيدة كل البعد عن أعمال التخريب والإرهاب.

لذا يمكن القول بأن ليس هناك أي داعٍ لدى الغرب للتخوف من صعود الحركات الإسلامية في الدول العربية، لأن الشعب العربي المنتفض في تلك الدول لن يسمح باستئثار السلطة أو التفكير في حد الحريات والتغيير من نمط الحياة الذي اعتاد عليه، ما يعني أنه لن يسمح بإقامة دولة الخلافة كما يدّعي البعض.

[115] رشيد الخالدي. **"الثورات العربية 2011: ملاحظات تاريخية أولية"**. (مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 86، ربيع 2011)، ص 23.

النتائج والتوصيات

تغلغل فن الكاريكاتير بين الجماهير كأنهم يبحثون عن من يتنفس عنهم في حالات ضعفهم ووهنهم، وتعمدت وسائل الإعلام وفي مقدمتها الصحافة بأنواعها وأشكالها فتح نوافذها لهذا الفن، للنقد وتسليط الضوء على القضايا التي تمس المواطن العادي، وتسابقت معها في ذلك صفحات المواقع الالكترونية ومنتديات الانترنت المتنوعة. وقد نجح هذا الفن بالفعل في أن يغرس أصابعه في المجتمع، مواجهاً مظاهر الفساد والرشوة، وإجراءات القمع والرعب الذي تمارسه أنظمة الحكم الاستبدادية وأجهزتها القمعية والمخابراتية [116].

لقد لعب فن الكاريكاتير دورا هاما بعد النكبة الفلسطينية والتشرد عام 1948 ، وتعزز دوره مع احتدام الصراع ضد الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية والرجعية العربية، معبرا بصراحة عن حالة الإحباط التي انتابت الجماهير العربية جراء الهزائم السياسية والعسكرية المتتالية التي لحقت بالجيوش العربية، وفقدان الثقة بالأنظمة العربية وقياداتها المسئولة عن تردى الأوضاع السياسة والاجتماعية في المجتمعات العربية، وعجزها عن الخروج من أزماتها الطاحنة، وفقدانها لسلطة العقل والتنوير وبرامج التنمية المستدامة [117].

واستطاع رساموا الكاريكاتير العرب التعبير عن آلام ومآسي ومعانات الشعب العربي في كافة مراحله المختلفة. فصوروا الفلاّح الكادح، والحاكم المستبد، والمواطن المطحون من جراء القمع والاستبداد، وصوروا الجوع والفقر والهزيمة التي تعرّض لها الشعب العربي وما زال على ما يقرب من قرن من الزمان. ولا شك أن لكثير من هؤلاء الفنانين الحرفية العالية والتأثير القوي على الجماهير، وإلا لما كان اغتيل الفنان الراحل ناجي العلي، برصاصة قتلت معها معنى الحرية، ولما كان اعتدي على رسام بارز مثل الفنان السوري علي فرزات على يد النظام الحاكم بسبب معارضته للنظام في بدايات الثورة السورية. هذه كلها دلائل تشير إلى مدى الخوف من الكاريكاتير وتأثيره على عقل ووجدان كل

[116] طلعت الصفدي. **فن الكاريكاتير ومقلاع النقد الساخر**. (الحوار المتمدن، العدد 2304، 2008/6/6م).
[117] طلعت الصفدي. **مرجع سابق**.

مواطن بغض النظر عن مستواه التعليمي والثقافي والاجتماعي، فالكاريكاتير يستهدف كل الطبقات ويتجاوز كل الحواجز.

وعلى الجانب الآخر، فقد تميّز رساموا الكاريكاتير الأمريكيون بتنوعهم الثقافي، حيث كان لخلفياتهم الفكرية والثقافية الدور الأبرز في اغناء مكتبة رسوم الكاريكاتير العالمية بهذا الكم النوعي من اللوحات الفنية التي تبرز قدرتهم على استلهام التاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والدين والموروث الثقافي والفنون بأشكالها. ويستحق هؤلاء الفنانون الاحترام والتقدير لخبرتهم الغنية رغم ما بيننا وبينهم من خلاف في وجهات النظر [118].

النتائج

هدفت الدراسة إلى تعريف القارئ بفن الكاريكاتير، مفهومه، تاريخه، تأثيره، وحرية استخدامه. كما حرصت الدراسة على تقديم دراسة حالة عن الربيع العربي وبالأخص عن الثورة المصرية وعرض لوحات كاريكاتيرية لفنانين هما الفلسطيني – الأردني الجنسية عماد حجاج والذي يرسم في صحيفة الغد الأردنية، والفنان Jeff Danziger والذي يرسم لصالح صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية، وقد عبرت كل واحدة من هذه اللوحات عن رؤى وقناعة صاحبها بأسلوب ساخر وناقد.

وحاولت الباحثة من خلال هذه الدراسة التوصّل إلى عدة نتائج تدعو القارئ إلى التمعّن فيها عن كثب. فقد توصلّت الباحثة إلى أن هناك تأثير قوي يمارسه الكاريكاتير على الرأي العام، نظراً لامتلاكه كل الأدوات التي تجعله وبامتياز أحد أهم وسائل التعبير، وأحد أهم عناصر الصحافة المعاصرة. ذلك التأثير هو ما حدا بالأنظمة القمعية العربية أن تضع على رسام الكاريكاتير قيود وحدود منع على مدى عقود من أن يتخطاها لمساسها بالسلطة الحاكمة (أو بالحاكم بمعناه الضيّق)، لكن على الرغم من هذه القيود فهناك بصيص أمل، ويعود ذلك للتغيُّر في معطيات اللعبة بين الرسام ومقص الرقيب، فهناك انتشار واسع لشبكة الانترنت في كافة الدول العربية والذي أتاح للرسام العربي نشر إبداعه دون الخوف من إرهاب السلطة في ذاك البلد أو ذاك.

[118] علاء أبو ضهير. **صورة حزب الله في رسوم الكرتون الأمريكية**. (فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، 2007)، ص 3.

وعلى النقيض، هناك حرية مطلقة لرسامي الكاريكاتير في الولايات المتحدة للتعبير عن آرائهم. فحرية التعبير في الولايات المتحدة مكفولة بنص الدستور ولا يستطيع أحد التضييق عليها أو حتى المساس بها.

يتميز الفنانين العرب وفناني الولايات المتحدة بالموهبة والقدرة على إخراج العمل الفني بحرفيه عالية؛ إلاّ أن المدرسة العربية تعتمد أكثر على البساطة في التعبير، على عكس الأمريكية التي تتميز باعتمادها على التفاصيل، إضافة إلى أن الكاريكاتير الأمريكي يعتمد في كثير منه على النص التوضيحي أو على الحوارات القائمة بين شخصيات الرسم الكاريكاتيري. أما ما يتعلق بطريقة تناول الرسامَين حجاج ودانزيغر للثورة المصرية فيكاد يكون متطابق إلى حد ما.

لاحظت أثناء قيامي بالدراسة وجود اختلاف كبير في الكيفية التي يتم فيها تنظيم العمل الكاريكاتيري بين الولايات المتحدة والعالم العربي، ففي حين يتعاقد الفنان أو الرسام العربي مباشرة مع الصحف لنشر أعماله، نرى في المقابل الرسام الأمريكي يعمل مع الصحف من خلال رابطة أو نقابة منظمة لرسامي الكاريكاتير تقوم الأخيرة بدورها بالتعاقد مع الصحف لنشر رسوم فنان كاريكاتيري معين. فهناك تنظيم أكثير لمهنة الكاريكاتير في الولايات المتحدة شأنه في ذلك شأن العديد من المهن الأخرى، يقابلها نقص أو تقصير في عمل رابطة مماثلة لها في العالم العربي ترعى حقوق رسامي الكاريكاتير وتعتبرها كمهنة مستقلة وليس كجزء من الصحافة.

التوصيات

تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة هي نتاج جهد دام أكثر من عام، حاولت فيه الدارسة جمع أكبر قدر من المراجع المتعلقة بالموضوع، ومحاولة انتقاء ما يصلح لأن يمثل وجهات النظر المختلفة، لتوفير مساحة كافية للمقارنة.

وأخيراً فإن الباحثة توصي بجملة من الإجراءات والتوصيات على أمل الأخذ بها ومحاولة تطبيقها. حيث توصي باهتمام أكبر بفن الكاريكاتير من قبل الجامعات الفلسطينية، فالمصادر تكاد لا

تذكر عن هذا الفن. كما تدعو الباحثة إلى قيام كليات الصحافة والإعلام في الجامعات الفلسطينية والعربية بالتركيز على تدريس الكاريكاتير كجزء من الصحافة، وتبيان أهميته وقوة تأثيره على توجيه الرأي العام، بالإضافة إلى تشجيع الطلاب في هذه الكليات على عمل أبحاث متخصصة في هذا الشأن لإثراء المكتبة العربية بهذا الفن.

كما توصي بضرورة تقوية الإعلام العربي في الغرب، ومحاولة إيصال صوتنا بأسلوب حضاري راقي وحرفي في نفس الوقت. والعمل على إيجاد مساحة عمل مشتركة بين الفنانين العرب وفناني الولايات المتحدة، ومحاولة بناء جسور من التعاون والتواصل بين بعضهم البعض.

توصي الباحثة بمحاولة تقوية وتعزيز دور الانترنت في نشر رسوم الكاريكاتير المختلفة في محاولة لمحاربة أعين الرقابة في العالم العربي. والعمل على إيجاد رابطة أو نقابة تنظم عمل رسامي الكاريكاتير في العالم العربي، وجعلها مهنة أكثر حرفية وتنظيم، ذلك أن وجود مثل هكذا نقابة تعطي للفنان العربي الدعم والحماية ضد المساس به ومحاولة التعرض له والتضييق عليه.

ينبغي أن يعطى الرأي العام أهميته المحورية في استيعاب هموم وقضايا الناس، هذا كمرحلة أولى لمعرفة الاتجاهات في إجمالها، ولكن الأهم من ذلك هو القراءة الداخلية للرأي العام غير المعلن، والذي تشير إليه دوامة الصمت كمجموع الآراء الشخصية للمواطنين تجاه موضوع معين، وعادة وليس بالضرورة أن يكون منطبقاً مع الاتجاهات والآراء المعلنة أمام الناس وفي وسائل الإعلام. وينبغي أن تهتم الحكومات بشكل أكبر لما يُعرف بآراء الأغلبية الصامتة التي تصمت على شيء داخلها، ولا ترغب في مرحلة معينة من إظهار هذه الآراء خارجياً أمام الناس وأمام الرأي العام

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

الكتب

الأسدي، عبده. تدمري، خلود. **دراسة في إبداع ناجي العلي.** بيروت: دار الكنوز الأدبية، 1994م.

ابن منظور. **لسان العرب.** بيروت: دار صادر، 1956م.

أبو إصبع، صالح. **الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة.** عمان: دار آرام للدراسات والنشر، 1995م.

الأقداحي، هشام محمود. **الرأي العام والدعاية الدولية.** الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2010م.

بطي، روفائيل. **الصحافة في العراق.** مصر، 1955م.

بيرم، عيسى. **الحريات العامة وحقوق الإنسان: بين النص والواقع.** بيروت: دار المنهل اللبناني، 1998م.

جبر، منى. **فن الكاريكاتير.** القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1977م.

الجبور، سناء. **الإعلام والرأي العام "العربي والعالمي".** عمان: دار أسامة، 2010م.

الجبوري، جميل. **صفحة من تاريخ الهزل والكاريكاتير في العراق.** بغداد، 1969م.

حجاب، محمد منير. **أساسيات الرأي العام.** القاهرة: دار الفجر، 1998م.

حماده، ممدوح. **فن الكاريكاتير: من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة.** دمشق: دار عشتروت للطباعة والنشر، 1999م.

خليفة، إجلال. **الصحافة.** القاهرة: دار الطباعة الحديثة، 1976م.

الدّجاني، محمد ومنذر. **مقدمة في العلوم السياسية.** القدس: منشورات جامعة القدس، 2009م.

ربيع، محمد. **صنع السياسة الأمريكية والعرب.** عمان: دار الكرمل للنشر، 1990م.

رسومات ناجي العلي: الإنسان والثائر. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للنشر والتوزيع، 2005م.

رشتي، جيهان أحمد. **نظم الاتصال: الإعلام في الدول النامية.** القاهرة: دار الفكر العربي، 1972م.

رشتي، جيهان أحمد. **الأسس العلمية لنظريات الإعلام.** القاهرة: دار الفكر العربي، 1978م.

السيد، ليلى. مكاوي، حسن. **الاتصال ونظرياته المعاصرة**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1998م.

الشيرازي، محمد الحسيني. **الفقه: الرأي العام والإعلام**. بيروت: دار العلوم، 2006م.
الضامن، منذر. **أساسيات البحث العلمي**. عمان: دار المسيرة، 2007م.
طاهر، كاظم شمهود. **فن الكاريكاتير: لمحات عن بداياته وحاضرة عربياً وعالمياً**. عمان: أزمنة للنشر والتوزيع، 2003م.
عبد الحميد، محمد. **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**. القاهرة: عالم الكتب، 1997م.

عليان، ربحي. غنيم، عثمان. **مناهج وأساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق**. عمان: دار صفاء، 2000م.
فهمي، خالد مصطفى. **حرية الرأي والتعبير**. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2008م.
القصبي، عبد الغفار. **الاتصال السياسي والتحول الديمقراطي**. القاهرة: مكتبة الآداب، 2007م.

قويسى، حامد عبد الماجد. **دراسات في الرأي العام: مقاربة سياسية**. القاهرة: جامعة القاهرة، 2003م.
المفتي، أحمد. **فن رسم الكاريكاتير**. دمشق: دار دمشق، 1997م.

المنجد في اللغة العربية والإعلام. بيروت: مطبوعات دار المشرق، 1992م.
المناصرة، عز الدين. **لغات الفنون التشكيلية: قراءات نظرية تمهيدية**. عمان: دار مجدلاوي، 2003م.
نجم، طه عبد العاطي. **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005م.
الهاشمي، مجد. **الكاريكاتير فن الحياة**. عمان: دار المناهج، 2003م.

وادي، فاروق. **ناجي العلي: الهدية لم تصل بعد**. عمان: دار الكرمل للنشر والتوزيع، 1997م.
ياسين، عبد القادر. **الصحافة سيف ودرع**. القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، 2010م.

المصادر

أبو فخر، صقر. **لصوص لكن ظرفاء: الكاريكاتير عن العرب**. مجلة وجهات نظر، العدد 37، فبراير 2002م.

حسن، عمار علي. **دور فن الكاريكاتير العربي في المقاومة المدنية والمسلّحة**. مجلة شؤون عربية، عدد:136، شتاء 2008م.
الخالدي، رشيد. **الثورات العربية 2011: ملاحظات تاريخية أولية**. مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 86، ربيع 2011م.
الطويل، رمزي. **تاريخ الكاريكاتير الفلسطيني: دراسات إعلامية2**. رام الله: مؤسسة ناديا للطباعة والنشر، 2005م.
عسيلة، صبحي. **الرأي العام**. القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، مجلة مفاهيم، العدد 23، نوفمبر 2006م.
يحيى، عدنان. **لوري:ملك الكاريكاتير السياسي في العالم**. عمان: المجلّة الثقافية، العدد 46، كانون أول 1998– آذار 1999م.

رسائل وأبحاث

أبو ضهير، علاء. **صورة انتفاضة الأقصى في رسوم الكرتون الغربية**. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، برنامج التبادل الشبابي الدولي "زاجل"، 2007م.

أبو ضهير، علاء. **صورة حزب الله في رسوم الكرتون الأمريكية**. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، برنامج التبادل الشبابي الدولي "زاجل"، 2007م.
صليح، فراس. **الرأي العام الفلسطيني وأثره على تحديد التوجهات السياسية لصناع القرار وعملية صنع القرار السياسي الفلسطيني "1993–2006"**. نابلس: جامعة النجاح الوطنية: رسالة ماجستير، 2009م.
الفقيه، خالد. **التنمية السياسية المترتبة على حركة الوعي في كاريكاتير الفنان ناجي العلي**. نابلس: جامعة النجاح الوطنية – رسالة ماجستير، 2008م.

مواقع انترنت

حسّو، عبد الناصر. **الكاريكاتير الضحك المرّ**. سورية: الملحق الثقافي لجريدة الثورة، 2 تشرين الأول، 2007م.

thawra.alwehda.gov.sy
سياسة. **ربيع الثورات العربية**. موقع أصداء المغرب، 2011م.
www.assdae.com
الصفدي، طلعت. **فن الكاريكاتير ومقلاع النقد الساخر**. الحوار المتمدن، العدد 2304، 2008/6/6م.
www.ahewar.org
عايش، محمد. "**أوعى**" **كاريكاتير يدعو الأردنيين للانتخاب**. موقع إسلام أونلاين، 17 تشرين الثاني، 2007م.
http://www.onislam.net
العناني، خليل. **التيارات الإسلامية في عصر الثورات العربية**. القاهرة: مؤسسة الأهرام – مجلة السياسة الدولية، موقع السياسة، 2011م.
http://www.siyassa.org.eg
القرني، علي. **الرأي العام ونظريات الصمت في الدول النامية: دوامة الصمت والأغلبية الصامتة**. موقع الجزيرة للصحافة والنشر، 2009/10/17م.
www.al-jazirah.com
لاما، هبة. **الكاريكاتير: محاولة لتقديم الواقع بصورة ساخرة**. فلسطين: شبكة فلسطين الإخبارية، 5 كانون الأول، 2007م.
www.pnn.ps
الناير، طلال. **حوار مع الكاريكاتيرست الأمريكي ديفيد بليدنغر**. موقع بيت الكرتون، 18 تشرين الثاني، 2008م.
www.arabcartoon.net
ويكيبيديا. **الكاريكاتير في العالم العربي**.
ويكيبيديا. **محمد البوعزيزي**.
www.wikipedia.com

الصحف

بن شقير، علي. **المرأة تحمل أفكاراً تثري فن الكاريكاتير أكثر من الرجل**. السعودية: جريدة اليوم الإلكتروني، 30 أيلول، 2006م.
www.alyaum.com

الخير الله: السؤال عن ضيق حرية رسامي الكاريكاتير يحتاج إجابة بحجم أمتنا. السعودية: موقع جريدة الوطن، 26 تموز، 2007م.
www.alwatan.com.sa
رسام الكاريكاتير الفلسطيني سباعنة: يجب على الكاريكاتير أن يحمل قنبلة تتسلل لنبض المتلقي. فطر: موقع جريدة العرب، 7 آذار، 2008م.

www.alarab.qa

صحيفة الغد الأردنية.

www.alghad.jo

صحيفة نيويورك تايمز.

www.nytimes.com

الطعان، بسام. **الكاريكاتير هو فن الابتسامة المرة ليوصلك إلى الأشد حلاوة.** لندن: جريدة القدس العربي، العدد 6088، 31 كانون الأول، 2008م.
www.alquds.co.uk
العزاوي، عبد الجبار. **رسم الكاريكاتير: المهنة التي تثير حفيظة السياسيين.** العراق: جريدة الصباح، كانون ثاني، 2010م.
www.alsabaah.com
عنكر، حكيم. **ثقافة الكاريكاتير.** الإمارات العربية: موقع جريدة الخليج، 28 كانون ثاني، 2007م.
www.alkhaleej.ae
القرني، علي. **الدرس الأول المستفاد من الثورات العربية.** موقع صحيفة الجزيرة، 3 أيلول، 2011م.
www.al-jazirahonline.com
نجدي، عادل. **حوار مع رسام الكاريكاتير المغربي عبد الله الدرقاوي.** المغرب: موقع جريدة الرأي، 14 آذار، 2008م.
www.arayo-alakhar.com
الياسري، صافي. **المرآة الحقيقية لما يجري خلف الكواليس: الكاريكاتير وليد الديمقراطية المدلل.** العراق: جريدة الصباح الجديد، 21 تشرين الأول، 2007م.
www.newsabah.com

المراجع باللغة الإنجليزية

الكتب

Becker,S. L. **Discovering Mass Communication**. Foresman & Company, 1987.

Dennis, E. **The Media Society: Evidence about Mass Communication in America**. Lowa WMC Brown Company, 1978.

Fiore. Q, & Mcluhan. M. **The Medium is the Message: An Inventory of Effects**. NY: Bantam Books, 1967.

Neumann, N. **Communication Theories: Origins, Methods, and Uses**. NY: Hastings House, 1979.

Schramm, W. **Men, Messages, and Media: A Look at Human Communication**. NY: Harper & Row, 1973.

المصادر

Katz, Harry. **An Historical look at political cartoons**. Nieman Reports: Harvard university, VoL. 58, No. 4, Winter 2004.

Marlette, Doug. **Freedom of Speech and the Editorial Cartoon**. Nieman Reports: Harvard university, VoL. 58, No. 4, Winter 2004.

رسائل وأبحاث

Diamond, Matthew. **No Laughing Matter: Post-September 11 Political Cartoons in Arab/Muslim Newspapers**. Durham, USA: Duke University, 2002.

Mateas, Michael. Treanor, Mike. **Newsgames: Procedural Rhetoric meets Political Cartoons**. University of California, 2009.

Qassim, Andreas. **Arab Political Cartoons: The 2006 Lebanon War**. Lunds University: MA thesis, 2006.

Walker, Ronald. **Political Cartoons: Now You See Them**. Canadian Parliamentary Review: spring 2003.

موسوعات

Encyclopedia International. **"political cartoon"**. New York, VoL.4, 1972.

ملحق الأعلام

عماد حجاج

هو عماد عيد حجاج من مواليد مدينة رام الله 1967م، حصل عام 1974م على أول شهادة تقدير للرسم عن مسابقة مدرسية حول موضوع إحراق المسجد الأقصى، التحق عام 1986 بجامعة اليرموك لدراسة الفيزياء، ثم تحول عام 1988 لدراسة الفنون الجميلة ليحصل في عام 1991 على شهادة البكالوريوس في الفنون الجميلة. نشرت أولى رسوماته الكاريكاتيرية في صفحات مشاركات القراء في صحيفتي الدستور وصوت الشعب، ومنذ عام 1989 عمل كرسام كاريكاتير سياسي في جريدة "آخر خبر" الأسبوعية، وفي الفترة 1990–1998 عمل في عدة صحف محلية وعربية.

انتظم عام 1993 كرسام يومي في جريدة الرأي الأردنية وبقي فيها لغاية 2000 حيث فصلته إدارة الصحيفة على خلفية إحدى رسوماته، بالرغم من موافقة الجريدة على نشر الرسم. عمل في جريدة الدستور الأردنية من العام 2000 حتى منتصف العام 2004. يعمل حالياً في جريدة الغد الأردنية والقدس العربي اللندنية، وانتقل في 1 تموز 2012 للعمل مرة أخرى في جريدة الرأي الأردنية. وتظهر رسوماته أيضاً على الموقع العالمي www.cartoonweb.com وموقع www.politicalcartoons.com وعلى الموقع الخاص به على الشبكة العنكبوتية www.mahjoob.com .

حجاج هو عضو في نقابة الصحافيين الأردنيين منذ العام 1994، وهو أيضاً عضو في وكالة رسامي الكاريكاتير والكتاب الساخرين في الولايات المتحدة CWS. وقد حاز حجاج على جائزة الحسين للإبداع الصحفي عن أفضل رسم كاريكاتيري لعام 2001، كما حاز على جائزة دبي للصحافة العربية للعام 2006 عن أفضل رسم كاريكاتيري نشر في الصحافة العربية لعام 2005، عن لوحة "**الجمل العربي الباكي**".

جيف دانزيجر

ولد عام 1943 وخدم في جيش الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام، عمل على تدريس اللغة الإنجليزية، ثم عمل في كريستشان سينس مونيتور حتى 1997، ويوصف جيف دانزيجر بأنه واحد من بين مائة شخص يؤثرون في الولايات المتحدة الأمريكية، حصل على جائزة هيربلوك على رسومه الكاريكاتيرية.

يقوم منذ العام 2009 بنشر رسومه عبر وكالة رسامي الكاريكاتير والكتاب الساخرين في الولايات المتحدة CWS، وهو حالياً ينشر رسومه أيضاً في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية.

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الإهداء	
الإقرار	أ
شكر وعرفان	**ب**
الملخّص	**ت**
Abstract	**ج**
الفصل الأول: مشكلة الدراسة وخلفيتها	**1**
المقدمة	1
أهداف الدراسة	2
أهمية الدراسة	2
مبرر الدراسة	3
مشكلة الدراسة	3
أسئلة الدراسة	3
فرضيات الدراسة	4
حدود الدراسة	5
منهجية الدراسة	5
فصول الدراسة	6
الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة	**8**
المبحث الأول: نظريات الدراسة	**8**
نظريات الرأي العام	8
نظريات الاتصال	9
المبحث الثاني: الدراسات السابقة	**16**
إسهام البحث في مجال الدراسة	22

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث: الإطار المفاهيمي والتاريخي للدراسة	**23**
المبحث الأول: الكاريكاتير ..... فن وتاريخ	**23**
تعريف الكاريكاتير	23
الكاريكاتير السياسي	24
الكاريكاتير عبر التاريخ	26
تاريخ الكاريكاتير العربي	29
الكاريكاتير في مصر	30
الكاريكاتير في لبنان	31
الكاريكاتير في سوريا	32
الكاريكاتير في العراق	32
الكاريكاتير في فلسطين	33
الكاريكاتير في المغرب العربي	35
الكاريكاتير في دول الخليج	36
تاريخ الكاريكاتير في الولايات المتحدة الأمريكية	36
المبحث الثاني: الرأي العام	**39**
تعريف الرأي العام	39
العوامل المؤثرة في تشكيل الرأي العام	41
الرأي العام العربي	42
الرأي العام الأمريكي	44
الفصل الرابع: الكاريكاتير السياسي – تأثيره وحرية استخدامه	**46**
المبحث الأول: الصحافة والرأي العام	**46**
المبحث الثاني: الصحافة والكاريكاتير	**48**
المبحث الثالث: الكاريكاتير السياسي والرأي العام	**49**
المبحث الرابع: الكاريكاتير ونطاق حرية التعبير	**52**
الفصل الخامس: الربيع العربي	**54**

الموضـــــوع	رقم الصفحة
الثورة التونسية	54
الثورة المصرية	57
مبارك ... بين البقاء والرحيل	60
الدروس المستفادة من الربيع العربي	64
الثورات العربية والحركات الإسلامية	65
النتائج والتوصيات	**68**
المصادر والمراجع	**72**
ملحق الأعلام	**79**